الحروب السرية الفلسطينية الإسرائيلية

عبدالله عيسى

الجاسوس المدلل



الجاسوس المدلل

الحروب السرية الفلسطينية الإسرائيلية

عبد الله عيسى

الجاسوس المدلل

المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر

رقم الاجازة المتسلسل: ١٩٨٩/٧/٣٩٨.

رقم الايداع لدى مديرية المكتبات والوثائق الوطنية :

١٩٨٩/٧/٤٣٨

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر

بناية برج الكارلتون. ساقية الجنزير. ت ٨٠٧٩٠٠/٩
برقياً - موكيالي بيروت. ص.ب ١١٣/٥٤٦٠ بيروت

الطبعة الثانية

١٩٨٩

المقدمة

لقد أفرزت الحرب الأهلية في لبنان واقعاً أمنياً صعباً، فكانت المخابرات الاسرائيلية «الموساد» تدفع بعملائها باستمرار للتجسس على الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية.

وكانت مهمة المخابرات الفلسطينية صعبة للغاية في ظل هذا الواقع، حيث استغلت الموساد ظروف لبنان، لتقوم عبر عملائها بمحاولات تخريب العلاقة بين التنظيمات الفلسطينية واللبنانية، كذلك محاولة استعداء المواطن اللبناني على الثورة الفلسطينية.

قصة «الجاسوس المدلل» قصة واقعية، من ملفات المخابرات الفلسطينية، تعطي صورة حقيقية عن الدور الاسرائيلي في العديد من الأحداث المعروفة والتي في كثير من الأحيان حاول الاعلام الاسرائيلي الصاق التهم الباطلة بمنظمة التحرير الفلسطينية.

تروي هذه القصة تفاصيل مثيرة حول اغتيال زهير محسن الامين العام لمنظمة الصاعقة في فرنسا، كذلك إفشال الموساد لمحاولة اغتيال السادات.

هذه الحلقة من حلقات المواجهة بين منظمة التحرير الفلسطينية واسرائيل انقلبت عكسياً لصالح المخابرات الفلسطينية التي اخترقت الموساد وقامت بتضليله لفترة طويلة.

قصة «الجاسوس المدلل» تسجل وقائع الحرب السرية بين المخابرات الفلسطينية والموساد منذ منتصف السبعينات وحتى الغزو الاسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢.

الفصل الأول

الرذيلة تقود إلى خيانة الوطن

كان وسيماً وذكياً، عيناه سوداوان يحتضنان في خفر حور العذارى، وجهه اسيل متوج بشعر فاحم مموج، وكم من مراهقة تمنت لو يكـــون هو العــريس وكـان يحلو له مطاردة الصبـايا المـراهقـات ويحلو له اكثر ان يتحدث عن انتصاراته الغرامية معهن امام اصحابه ومجامليه من المراهقين، وهي انتصارات بريئة، لم تكن تتعدى ابتسامة عن بعد أو لمسة عن قرب أو غمزة في الطريق، فالاهل محافظون والبيئة كلها محافظة. لكن طارق كان يبني على تلك الاشـارات المـراهقـة والبسمـات البعيدة قصصاً تدب الحسد والغيرة في صدور الاتراب الصغار. كان كثير الاهتمـام بنفسه ومظهره وقليل الاهتمام بدروسه وواجباته المـدرسية، وكان يحلم ان يكون غنياً تتدفق الاموال بين يديه ليتسنى له تسجيل انتصارات حقيقية في عالم الجمال والنساء، يتـرجم قصص المـراهقـة وخيالاتها إلى حقائق ووقائع. لكن المشـــوار طويل واليد قصيرة فهـــو ما زال طالبـاً في المـرحلة الاعـدادية وأبوه موظف في الجيش اللبناني، معاشه لا يكفي لاكثـر من الستـر وسد الحاجة ومصاريف البيت والعائلة لكن

طارق يتلظى بتطلعات الشباب ومغامراتهم. يود لو انه يستطيع ترك المدرسة ومزاولة العمل ليتسنى له تحقيق مآربه، يهمل دروسه ويكثر غيابه عن المدرسة، يطالب امه دائماً ان تعطيه مصروفاً كغيره من اولاد الاغنياء، يغادر المدرسة قبل حصوله على الشهادة الثانوية. تقدم من مكتب لشركة سفريات في شارع الحمراء في العاصمة بيروت، حيث وجد عملاً هناك، كان يجيد إلى حد ما الحديث باللغة الفرنسية، التي كان يصر على تعلمها لتساعده في جذب الصبايا اليه، كما اتقن حفظ بعض الجمل والعبارات باللغة الانجليزية، الراتب قليل ولكنه كاف للظهور بمظهر القادر، والحياة في بيروت وسط جيله من الشباب حياة مظاهر، لكنه كان يشعر بالندم حين يخلو إلى نفسه، لتركه المدرسة، فالحياة العملية بالنسبة لفتى غير متعلم مثله لا تسمن ولا تغني من جوع. ثم ان والده في تلك الفترة احيل على التقاعد ووجد لنفسه وظيفة في جريدة لبنانية.

ذات يوم وهو يجلس امام (الكاونتر) في شركة السفريات دخل عليه رجل وسيم الشباب شعره طويل ينسدل على كتفيه، فيه رشاقة واناقة ظاهرة، تتسم حركاته بالسرعة والانفعال، تقدم منه بثقة طالباً تذكرة سفر ذهاب وعودة إلى باريس، ذكر له الاسم فبدا مألوفاً لديه وكان طارق قد ادرك حتى قبل ان ينطق الرجل باسمه ان هذا الارمني المسافر إلى باريس رسام مشهور يلعب بالمال كما يشاء، سافر الرسام وعاد وبعد فترة رجع إلى مكتب السفريات واشترى تذكرة اخرى للسفر إلى عاصمة عربية هذه

المـرة. ومـرة اخـرى إلى باريس. وهكذا قليلاً قليلاً توطدت المعـرفة بينهما، وذات يوم دعا الرسام طارق للغداء عنده في منزله. ولم يتردد طارق في قبول الدعوة فذهبا معاً إلى المنزل، كان الرسام كريماً إلى ابعد الحدود حيث مد لطارق مائدة شهية، من الحمص والمتبل والمشويات والبسطرما، اكل كثيراً وشرب كثيراً وضحكـا اكثر، ولاحظ الرسام ان النعاس اخذ يدب في عيني ضيفه فقال له: (بين عليك تعبان، قوم... نام هونيك على تخت).

في الطريق إلى البيت، ثار طارق على نفسه، وندم على العلاقة التي بدأها مع الرسام، اذ كيف يقوم بمثل هذا العمل المشين وهو يعد نفسه شخصاً متكامل الرجولة. بل كيف يندمج في هذا العمل بالرغم من تربيته المحافظة ودينه الذي نشأ عليه يمنعه من ذلك ويحرمه عليه، وماذا لو عرف عنه اصدقاؤه ذلك، سيفضحونه بالتأكيد. وسيعلم والده بالامر وامه واخوته، وتكون فضيحـة ما بعـدهـا فضيحـة، المـوت اهـون منهـا، تحسس الخمسين ليرة التي دسها الرسام في جيبه، ومضى إلى البيت، اغتسل وخرج يتسكع في الشوارع على غير هدى، ثم ما لبث ان عاد الى البيت ونام ليذهب في الصباح إلى عمله كالعادة.

بعـد فترة جاء الرسام اليه قبل نهاية العمل بدقائق انتظره حتى انهى عمله وخرجا بسيارة الرسام ومرا على احد مطاعم الروشة.

بعد عام كامل في شركة السفريات ترك عمله هناك ليلتحق باحدى الشركات التي تبيع الموسوعات وتسوقها، تدرب في مكتب الشركة في بيروت مدة ثلاثة اشهر قبل ان ترسله إلى احدى البلدان العربية لتسويق الموسوعات هناك، مكث في ذلك البلد فترة طويلة جمع خلالها مبلغاً كبيراً من المال، عاد به إلى بيروت حيث استأجر مكتباً في بناية الحسن سنتر مقابل اليونيسكو على طريق المزرعة لممارسة اعمال الديكور وبيع معداته ومستلزماته من دهان وورق جدران و «موكيت» وما إلى ذلك. في البدء كان العمل مشجعاً لكن احداث بيروت المتلاحقة جعلت العمل صعباً ففشل المشروع وخسر فيه تحويشة العمر. لكنه خلال تلك الفترة تعرف على عدد كبير من الاغنياء ومتوسطي الحال، كما تعرف على احد الاثرياء ولنسمه «سعيد» الذي يستأجر كل عام فيلا ضخمة جميلة قرب فندق الريفيرا المطل على الروشة بمبلغ ٥٠ الف ليرة لبنانية في الشهر. وسعيد لا يأتي إلى بيروت إلا للسهر وانفاق الفلوس على العربدة والتحشيش والسهرات الحمراء، التي ينفق فيها بغير عد أو حساب، فالرجل سخي مع الاصدقاء، وكريم مع المعارف والنساء والشباب، يهدي العقود والخواتم المصنوعة من الاحجار الكريمة والذهب التي يسيل لها اللعاب، كما لو انها سجائر وعلب «شوكولا». وكم دهش طارق حين رأى سعيد يهدي احدهم سيارة (بي. ام. دبليو) فخمة من الوكالة.

ودهش اكثـر حين رأى سعيد يلعب بقـطعـة ضخمـة من «الالماس» في يده، فسأله ان كانت «الماسا» حقيقياً فضحك سعيد والقاها بين يديه قائلاً: «ما رأيك انت، خذ تفرج عليها وتفحصها جيداً». تفحصها طارق وعرضها امام عينيه فرآها تضج بالالـوان التي تتقـاطـع مع بعضها البعض مثل نور على نور، عندئذ قال له سعيد ان ثمنها مليون ونصف المليون دولار. صعق طارق لدى سماعه قيمة الالماسة فأعادها إلى سعيد وهو يرتجف.

الرسام الارمني كان أيضاً هناك عند سعيد، فقد كان صديقاً له وقد اشترى منه سعيد خمس لوحات بمبلغ كبير. لكن الرسام الارمني لم يكن يرتاح لمناورات سعيد مع طارق. فقد كان يغار عليه من كل الرجال، خصوصاً سعيد.

لم يجـد طارق نفسه غريباً عن هذه السهرات الحمراء، وكان يطمح ان يصبح مقرباً من سعيد مهما كلف الامر، بالرغم من غيرة صديقه الرسام عليه ولم يكن ليغيب عن سعيد الخبير في هذه الامور ان يلحظ مدى اهتمام الرسام بالفتى، فاستغل ذهاب الرسام إلى الحمام في احدى الليالي ليدعو طارق إلى الغداء عنده في اليوم التالي فرح طارق بالدعوة المنتظرة.

وبعد لقاء حافل ناول سعيد طارق ٤ الاف ليرة لبنانية دسها في جيبه وخرج، ليعود في السهرة كالعادة وكأن شيئاً لم يكن.

وصار طارق يغار على سعيد، وكانت غيرته تنصب على شخص واحد يدعى «انطون» الذي كان محظياً من قبل شخصيات معروفة.

صار طارق جزءاً من سهرات سعيد كما صار جزءاً من الليل لحياة الليل. ونظراً لاوضاع بيروت والعنف السائد في بعض مناطقها فقد اشترى طارق مسدساً، وارد ان يحصل على ترخيص له، ولما لم يكن منتمياً إلى أي تنظيم حزبي أو سياسي فقد صعب عليه الحصول على الترخيص اللازم. إلى ان كان في احد الايام يجلس في احد المطاعم الصغيرة مقابل جريدة «النهار» حيث يعمل والده، هناك تعرف على سائق سيارة يعمل في الجريدة، فاخبره بالمسدس وطلب منه ان يساعده في الحصول على رخصة له، فقال السائق (بسيطة) لقد افتتحت منظمة «الصاعقة» مكتباً لها هنا، واشار بيده إلى موقع المكتب وهو يضيف: مسؤول المكتب ضابط يدعى خليل وهو صديقي، ساعرفك عليه ولن يردك خائباً. فرح طارق وكان لا يزال غارقاً في الفرح حين دخل خليل بلحمه ودمه إلى المطعم وجلس إلى أحدى الموائد بعد ان سلم على السائق الذي عرفه على طارق فوراً وفاتحه بموضوع المسدس فقال خليل (ولا يهمك بسيطة).

بعد يومين احضر خليل رخصة المسدس معه إلى المطعم واعطاها لطارق الذي علم من خليل انه دائم التردد على هذا المطعم لتناول الافطار فيه واحيانا الغداء فكثرت لقاءاتهما وصار

خليل يصحب طارق في كثير من الاحيان معه إلى مكتبه في الحمراء وهو (مكتب ١٣ أمن الصاعقة) كما كانا يذهبان معا للعب «الفليبر» في احد المحلات القريبة من المكتب، حيث يقضيان عدة ساعات امام الماكينات يلعبان ويقتلان الوقت. مع الايام ومن خلال الضابط خليل تعرف طارق على معظم المسؤولين في منظمة الصاعقة، خصوصاً «نسور الثورة» جناحها العسكري. كما اصبح من عادة خليل تكليف طارق ببعض المهمات البسيطة في ظل الفوضى التي كانت تسود في بعض التنظيمات، وبالرغم من عدم انتماء طارق للتنظيم الا انه كان سعيد بالمهمات التي يكلفه بها خليل والتي تتمثل في اعداد جوازات السفر للمقاتلين في مهمات خارجية، والحصول على التأشيرات اللازمة. ولم يكن يتقاضى مقابل عمله هذا أية اجور. فقد كان يشعر انه يقوم بعمل مهما ضؤلت قيمته، الا انه يندرج في باب العمل الوطني القومي. خصوصاً ان خليل لم يكن من النوع الذي يخفي اسرارا، فقد كان كثير الحديث عن عمله في المنظمة وعن المسؤولين فيها وأحيانا كثيرة كان يدلي له بأخبار عن طبيعة المهام التي سيقوم بها الفدائيون.

احلام

ذات يوم من شهر مايو (آيار) ١٩٧٨ كان طارق يجلس في مقهى ومطعم نصر المطل على الروشة، كان الجرسون يرفع من

امـامـه الاطبـاق الفـارغـة حين حانت منه التفاتة إلى المائدة المجاورة، فوجد عليها امرأة في الثلاثينات الاخيرة من العمر على وجههـا ملامـح عز وجمـال واناقة ومعها طفلان، اقترب احـدهمـا منـه وكـان صغيراً فتعثر الطفل ووقع على الارض، فنهض طارق يرفع الصبي وينفض له ثيابه ويوصله إلى امه التي شكرته ودعته بكل ادب لمشاركتها فنجان قهوة. فشكرها وجلس بجوارها، وهو يقول (اولادك حلوين) فضحكت وهي تقول (شو قصـدك يعني مش طالعين لأمهم) فارتبـك وهـو يقول معتذرا (بالعكس يا مدام. انت حلوة كثير).

وهكذا دار الحديث بينهما. حول الاولاد والجمال والزواج والروشة والمطعم الذي يجلسان فيه، اذ فهم منها انها كثيراً ما تتردد على هذا المطعم لأنه كما تقول مطعم يغسل رجليه في البحر، والخدم فيه يحبون الاولاد ويلاطفونهم. طلبا فنجانين آخرين من القهوة وطلبت «بوظة» للاولاد، بعد فترة نظرت إلى ساعتها ونهضت وهي تقول (نسينا الوقت، صارت الساعة ١١ لازم الاولاد يناموا) نهض طارق وعرض عليها ان يوصلها إلى البيت بسيارتـه فوافقت وهي تشكره. وضع الاولاد في المقعد الخلفي من السيارة بينما ركبت هي إلى جواره فانطلق بها إلى بيتها.

توقف امام العمارة. وفتح لها الباب ثم فتح الباب الخلفي، وحمل الصغير بين يديه ومشى معها إلى مدخل العمارة يوصلها

به. امـام باب الشقـة اخـرجت المفتـاح وفتحت الباب ودعته ليشرب فنجان قهوة.

بعد ان وضعت الاولاد في غرفة نومهم صنعت ابريقاً من القهـوة واحضـرت فنجـانين وجسلت تصب ويشـربان، الشقة فاخرة، واثاثها فاخر والمرأة تبدو غنية، وحين سألها عن زوجها اخبرته بانه رجل اعمال كبير في نيجيريا، وهي لا تطيق الحياة في الصيف هناك، لذلك تفضل المجيء إلى بيروت أو اوروبا، دهش طارق وتململ على كرسيه بشكل ملفت فظهر المسدس تحت حزامه، فسألته عنه دون ان يبدو عليها الخوف، فقال لها بأنه يحمله تحسباً وهو مسدس مرخص فردت بسؤال آخر ومن اين حصلت على الترخيص فاجابها (من منظمة الصاعقة) فردت بسؤال آخـر (وهل تعمل معهم) فقال (لا، ولكنهم اصحابي، جميع المسؤولين فيهـا اصحـابي)، كانت تسـألـه وامـارات الاعجاب بشخصيته تبدو على قسمات وجهها الجميل، فانتهز الفرصة واخذ يحدثها عن الاعمال التي يقوم بها مقاتلو الصاعقة والمساعدات القيمة والنصائح التي يقدمها لهم محاولاً جذبها اليه بتلميع صورته وشخصيته التي يعرف في اعماق نفسه انها شخصية اذلها وسحقها الرسام الارمني وسعيد وغيرهما.

بالمسدس وبهذه المرأة الثلاثينية احس طارق بأنه يستعيد شيئاً من رجولته المهدورة. طال الوقت وجاوزت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل فقالت له احلام: طارق، انا معجبة بك كثيراً

وهذا رقم هاتفي، ارجوك ان تتصل بي في أي وقت تشاء دعنا نلتق ونتحدث فحديثك شيق وجميل.

ـ وانت أيضاً جميلة يا ست احلام وتأكدي انني سأتصل بك.

على الباب قبلته وهي تودعه قبلة فيها الف معنى والف اشارة فانتفخت اوداجه واحمر وجهه، وكاد يشهق بطعم الرجولة الذي تدفق فجأة في اعماقه بفضل هذه المرأة.

قاد سيارته بجنون، وهو يفكر في احلام هذه المرأة التي دخلت حياته هكذا بالصدفة وبلا مقدمات لتعيد له شيئاً من وهج الرجولة المفقودة عنده، وصمم وهو في غمرة هذه الافكار ان لا يتصل بها لا في الغد ولا بعده حتى يشعرها بشخصيته ويجعلها هي تسعى اليه وتتمسك به فهي الحلم الذي ضاع منه على سرير الرسام اللبناني وفيلا سعيد، ولا اقل من ان يكون هو فارساً لاحلام في غياب الزوج البعيد في نيجيريا.

ويوم اتصلت هي به بعد اسبوع شعر بأن خطته نجحت وان الصيد الثمين وقع. عاتبته فاحتج بكثرة العمل وانشغاله مع الشباب في نسور الثورة لكنه وعدها بالاتصال واللقاء.

وبينما هو يتناول العشاء في مطعم صغير في نهاية شارع الحمراء بنزلة أبوطالب، جاءه النادل يخبره بأن هناك شخصاً على الهاتف يريد ان يتحدث اليه اسمه أحمد، فنهض فاذا هو صديقه الذي كان يعمل قبل الحرب في مسبح فندق السان

جورج وبعد الحرب سافر إلى لندن حيث عمل هناك في عدة مهن بسيطة يوصل الطلبات إلى البيوت وينظفها، وكان قبل سفره إلى لندن قد التقى بطارق اكثر من مرة عند الرسام الارمني .

فوجيء طارق بعودة احمد من لندن وفوجيء به كيف حصل على هاتف المطعم فاخبره هذا بأنه اتصل به على البيت فاخبرته اخته انه في هذا المطعم وهو يريد ان يسهرا معا، سأله طارق واين انت الآن فقال احمد انا في بيت احدى الصديقات وهذا هو العنوان تعال فورا، وصعق طارق حين ذكر له احمد العنوان لقد كان عنوان احلام، وليتأكد من ذلك قال لأحمد (بيت مين) فرد احمد (بيت الست احلام) .

ولم يكمل طارق عشاءه دفع قيمة ما طلب وخرج على الفور، وطار إلى بيت احلام حيث كانت هناك مفاجأة في انتظاره .

الفصل الثاني

المصيدة

وصـل إلى شقة احلام، وما ان قرع الجرس حتى انشق الباب عنها فقالت مرحبة :«اهلا». رآه احمد من بعيد فهرول من الصالون يعانقه ويعرفه على احلام. وكان طارق قد لمح انها لا تريد ان يعرف احمد انها على معرفه معه.

جلس احمـد بجـواره، يحدثه عن مغامراته العاطفية في لندن، وعن الاثرياء الذين التقاهم هناك وتعرف بهم. كان طارق ممتعضاً من حديث احمد، يسترق النظرات إلى احلام معجباً بجمـالهـا وقـوة شخصيتها، إلى ان قال: أحد الاثرياء، واسمه فلان، قال لي في لندن: اذا جمعتني بطارق ساعطيك ٥٠٠٠ دولار. هنا انتبه طارق مستفسرا فاستطرد احمد في ثرثرته موضحاً يقول: انه رآك في «ملهى البلواب».

تفاهة احمد جعلت طارق يتساءل بينه وبين نفسه عن السر الـذي جمـع بين احلام وهذا المخلوق الجاهل، كما جعلته يتساءل عن الكيفية التي يتعرف بها احمد عل هذا العدد الكبير

من الاثـرياء. وكـأنمـا ظهـرت تسـاؤلاته على صفحة وجهه. فادركت احلام ما يدور في خاطره فقالت: كان احمد قبل ان يسافر إلى لندن يأتي دائماً لتنظيف البيت هنا، وقضاء حاجاتنا من السوق، وقد اصبح جزءاً من العائلة فقد لحق بنا إلى نيجيريا حيث عمل في بيتنا هناك وكذلك في بيتنا في لندن.

ترى هل هذه هي الحقيقة؟ ام ان هناك رابطاً ما يجمع هذا (المشبوه) بهذه المرأة وباؤلئك الاغنياء؟

تفسير احـلام ادى غرضـه، فبعـد ان انفرط عقد السهرة باسبـوع اتصل طارق باحلام التي دعته إلى العشاء في منزلها فذهب وتعشى ونام ليلته هناك. كان شعوره في تلك اللية فوارا برجولته. فها هو يقفز فوق شذوذه، وتعجب به احلام كرجل، فلا يخبرها عن شذوذه بالطبع ولم يدر في خلد الفتى ان احلام تعرف عنه كل شيء من احمد، صارت احلام بالنسبة اليه حلماً ومتنفسـاً رجـولياً له، يستعيض به عن ماضيه الشاذ مع الرسام والثري سعيد.

وذات سهرة في بيت احلام، وكان هنالك اخوها ابراهيم الذي يعمل مدرساً، سأل ابراهيم طارق:

ـ قل لي يا طارق: إلى اية عائلة تنتمي؟

ورد طارق:

ـ عائلة الحمدان.

ضحك ابراهيم وسرح، فاستغرب طارق ضحكه وشعر بالاهانة فقال له:

ـ وما الذي يضحكك؟

فقال ابراهيم:

ـ لا تغضب، ولكنني تذكرت ان احلام اتهمت من قبل بانها عميلة للمخابرات الاسرائيلية، كما اتهم معها انذاك رجل من عائلة الحمدان.

دهش طارق إلى احلام مستوضحاً بانفعال شديد، فهدأت من روعه بقولها:

ـ لا تصدقه، انه يهذي. فهو ثمل لا يعرف ماذا يقول:

لم يقتنع طارق بقولها، وظل كلام ابراهيم يدور في نفسه إلى ان فاتحها به بعد يومين من تلك الامسية قائلاً:

ـ احلام، لقد قلت لي ان ابراهيم ثمل، لكن الثمل غالباً ما يقول الحقيقة. فما قصة المخابرات الاسرائيلية؟

وردت احلام تطمئنه.

ـ القصة سخيفة. كنت على علاقة صداقة مع شخص من عائلة الحمدان فعلاً، كان يملك ملهى «الكاسبا» في فندق «الكومودور» في الستينات وتبين انه عميل للمخابرات الاسرائيلية فسجن وبعد خروجه من السجن غادر لبنان، ولم اسمع عنه شيئاً منذ ذلك الوقت.

ـ هل هذا كل شيء؟
نعم ولماذا اكذب عليك؟

اكتفى طارق بهذا التفسير ليصدق احلام، فلم يكن ليهتم من قريب أو بعيد بالمخابرات الاسرائيلية. كل ما كان يريده امرأة جميلة وسرير دافىء يكفلان له وضعاً مزيفاً يعلو به فوق حماة الشذوذ الذي يعاني منه. كان بحاجة اليها، كما ظن انها هي الاخرى بحاجة إليه لغياب زوجها الطويل في افريقيا الذي يفضل السوداوات ويلعب القمار في لندن. علماً بأن هذا هو الزوج الثاني لها، فقد سبق وتزوجت هي الأخرى من رجل يعمل في نيجيريا.

لكن سعادة طارق باحلام لم تدم طويلاً، فقد سافرت إلى لندن بعد ان اعطته عنوانها هناك ورقم هاتفها. شعر بالفراغ والالم في غيابها. فصار يقضي وقتاً طويلاً معها على الهاتف. تعذب، وفقد طعم الحياة، وتمنى لو ان في مقدوره السفر إلى لندن والحياة معها وبينما كان يحادثها على الهاتف في احد الايام يشكو لها حبه وعذابه، قالت له فجأة وبلا مقدمات.

ـ ولا يهمك. غداً سأرسل اليك بالتكلس تذكرة سفر بيروت ـ لندن ـ بيروت. وما عليك الا ان تحصل على تأشيرة دخول من السفارة البريطانية وتأتي، وانا سارتب كل شيء من هنا.

كاد يطير من الفرح. لم يصدق. انها تحبه كما يحبها

واكثر. اخبر الاهل بانه سيذهب إلى لندن للتجارة والعمل. وافق الوالدان وجاءت التذاكر وحصل على التأشيرة. وما هو الآن في مطار بيروت يستعد للركوب في طائرة «الميدل ايست» إلى «عاصمة الضباب».

في مطار هيثرو كانت امال ابنة احلام تنتظره بابتسامة عريضة دافئة ذكرته بذلك اليوم الذي امضياه معا في بيروت حين جاءت من نيجيريا اثر خلاف لها مع زوجها، فقد سكنت مع والدتها في الشقة وتعرفت على طارق هناك وذات ليلة بينما كان يقف امام مبنى جريدة «النهار» ينتظر والده، مرت امال بسيارتها فلمحته ولمحها فتوقفت وصعد معها إلى السيارة بعد ان اخبر والده بانه قد يتأخر هذه الليلة.

كانت آمال ليلتها في حالة نفسية سيئة، سألها:

- إلى اين أنت ذاهبة في هذه الساعة المتأخرة من الليل؟

فقالت:

- لا مكان محدد. أريد فقط ان اتجول في الشوارع هكذا بلا هدف. وليتك ترافقني.

- تعال نقضي الليلة في فندق «الكومودور» معاً.

بلع ريقه وهو يناول موظف الاستقبال مئة ليرة ليخصص لهما غرفة حيث ناما حتى الصباح. وحين افاق صباح اليوم التالي كان طارق يشعر بأن رجولته قد ردت اليه أو معظمها على الاقل.

كان اكثـر ما يهمه ان يثبت رجولته لامرأة، كأنما اثباتها لامرأة يثبتها امام نفسه وضميره.

وطار طارق إلى لندن بعد ذلك وكانت آمال في انتظاره.

المصيدة

اوصلته آمال من المطار إلى شقة احلام وكان ذلك في شهر اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٨. وعرف من آمال انها تسكن في شقة اخرى في العمارة نفسها التي تسكن فيها والدتها. اقام في شقة احلام ثلاثة ايام إلى ان وجدت له شقة مناسبة في العمارة نفسها ومقابل شقة آمال بالضبط دفعت احلام ايجار الشقة وناولته مبلغاً من المال لمصاريفه اليومية.

اخذته الام وابنتها إلى أحد الملاهي فصار يقضي وقته بين الملهى والسينمـا واحـلام وامال. وقليلاً ما يتسكع في شوارع لندن. في الاسبوع الثالث من وصوله. وبينما كان يتمشى في احدى الشوارع القريبة من العمارة دخل إلى حانة ليتناول بعض الشراب. بعد برهة دخل رجل تدل سحنته على انه عربي وطلب شرابا مثله وجلس على مقربة منه. ثم ما لبث الرجل ان التفت إلى طارق سائلاً بلطف:

ـ الأخ عربي؟

ـ نعم.

فقال الرجل:

ـ من اين؟

ـ لبناني.

ودار بينهما حديث عادي حول لندن والطقس والحياة في هذه المدينة الباردة. استطاع طارق ان يلاحظ في لهجة الرجل العربية لكنة اجنبية غير واضحة تماماً. وعاد الغريب يسأل:

ـ هل انت هنا في عمل أم سياحة؟

رد طارق باقتضاب:

ـ سياحة.

عندئذ قال الرجل:

ـ انا تاجر قماش مقيم هنا في لندن. دعنا نتقابل بين الحين والحين.

فرح طارق بالتعرف على هذا الرجل الدمث وتمنى في قرارة نفسه ان يجد عملاً له معه يبقيه في لندن. خصوصاً عندما سأله الرجل ان كان لديه هاتف، فقال طارق على الفور «هذا هو اسمي ورقم الهاتف. اتصل بي في أي وقت» شكره الرجل وقال له: «أنا اسمي زكي وسوف اتصل بك ان شاء الله». ثم نهض ودفع الحساب وانصرف.

بعد عودته إلى الشقة بقليل اتصلت به احلام وطلبت منه ان يسهر عندها تلك الليلة. وسألته بعد العشاء:

ـ ماذا تفعل في النهار؟

فقال:

ـ لا شيء اتسكع في الشوارع على غير هدى. ان لندن مدينة جميلة.

ـ الم تتعرف على احد؟

ـ لا. ابدا.

لم يذكر لها شيئاً عن زكي لثقته بأن الأمر لا يستحق ان يذكر الا ان دعوة احلام له لقضاء السهرة في تلك الليلة كانت مقصودة لاختبار قدرته على الثرثرة، ولم يكن يدري انه باجابته تلك قد سجل نقطة ايجابية لصالحه.

بعد يومين اتصل به زكي ودعاه لتناول الغداء في فندق «ذه ويست مورلاند فلور» الساعة الواحدة، فذهب طارق في الموعد المحدد تماماً، لكن زكي لم يحضر الا بعد نصف ساعة معتذراً عن تأخيره بسبب ازدحام السير والمرور في تلك الساعة.

والواقع ان المرور لم يكن سبباً في تأخير زكي بل هو تأخر تمليه الاحتياطات الأمنية التي تعود الرجل اتخاذها بشكل دائم. كذلك كان الاحتياط الامني هاجسه وهو يجلس بظهره إلى الحائط كاشفاً كل شيء امامه. بينما طارق لا يرى غير الحائط وزكي.

دار الحديث على الطعام عادياً حول لندن واوضاع لبنان.

ويبدو ان جلسة التقييم الثانية كانت ايجابية، اذ قال زكي لطارق وهو يودعه: «ساحاول ان اجد لك عملاً هنا». ثم دفع الحساب وانصرف وهو يقول: «سأتصل بك قريباً». ولم يحاول طارق ان يطلب من زكي رقم هاتفه مع انه فكر في ذلك. فهو يريد ان يستعجل الحصول على وظيفة.

كان التقييم يتم من قبل زكي بسرعة لشخصية طارق، فهو ذكي يركض خلف الشهوات والنزوات، اذ لاحظ زكي انه غازل بعينه وابتساماته امرأة كانت تجلس إلى طاولة مجاورة في المطعم قبل ان ينهره زكي. ثم انه شاذ جنسياً وهذه نقطة ضعف مناسبة جدا لاختراقه والضغط عليه، خصوصاً انه يحمل اعتباراً كبيراً لأهله وعائلته واصدقائه وستكون مصيبة المصائب في نظره اذا اكتشف امر شذوذه ونقطة الضعف الثانية قلة المال بين يديه، فهو من عائلة متوسطة الحال ومستعد لعمل أي شيء من اجل الحصول على المال. ثم هناك علاقته ببعض الاثرياء. والاهم من ذلك كله علاقته القوية بأحد مسؤولي منظمة «الصاعقة» المعادية لاسرائيل ومعرفته لمعظم المسؤولين والعاملين فيها.

دعوة إلى العشاء

بعد ايام ثلاثة هتف له زكي يدعو للعشاء في مطعم «البستان» وقال له انه سيتأخر قليلاً ويفضل ان يتم الحجز باسمه هو. فقال طارق.

ـ أسمي طارق الحمدان.

فقال زكي:

ـ واسمك الثلاثي.

ـ طارق أحمد الحمدان.

من الطبيعي ان لا يحتاج زكي لأسم طارق الثلاثي أو الثنائي أو حتى الأول لاجراء الحجز. ولكنه اراد طارق ان يقول له اسمه الثلاثي لغاية في نفس يعقوب لم يدركها صاحبنا. خصوصاً ان زكي عاود الاتصال بطارق قبل الموعد المحدد ليخبره انه الغى حجز «البستان» لأنه جد مشغول. وفي وسعهما بدلا من ذلك تناول العشاء في مطعم فندق «ليونارد» القريب من مكتب زكي. ولما وافق طارق طلب منه زكي ان يتوجه من فوره إلى الفندق المذكور لأنه بعيد نوعاً ما، امتثل طارق لرغبة زكي واستقل سيارة تاكسي إلى حيث الموعد.

كان زكي ينتظره في احدى زوايا المطعم. واثناء العشاء قال زكي: «انا مضطر للسفر غدا إلى ايطاليا لاحضار بعض الاقمشة والموديلات من هناك، ولن اغيب اكثر من اسبوع». ثم تشعب الحديث ليطول الاوضاع في لبنان والطقس في لندن وتجارة الاقمشة والثياب. بعد العشاء نهض زكي ودفع الحساب ثم ودع طارق وخرج.

لم يلاحظ طارق ان زكي في كل مرة يخرج قبله، وحين

يخرج هو بعده لا يجد له اثرا. ثم انه لم يفكر مطلقاً في سر هذه الدعوات المتكررة إلى المطاعم، وان فكر في ذلك فقد اعتقد ان الرجل رأى فيه برغم فارق السن مشروع صديق في هذه الغربة التي يعيشها في لندن. وكونه يدفع الحساب في كل مرة لا يعدو ان زكي رجل كريم وتاجر. بينما هو عاطل عن العمل.

بعد ثلاثة ايام من عشاء الفندق فوجيء طارق بزكي على الهاتف يخبره بأنه انهى عمله بسرعة وعاد إلى لندن وهو يدعوه لقضاء السهرة عنده مع عدد آخر من الضيوف. ولما لم يكن طارق على علم بعنوان زكي قال له هذا الاخير «سأمر لأخذك بالسيارة. انتظرني في نهاية شارع كرومويل رود الساعة الثامنة والنصف».

في تمام الساعة الثامنة والنصف توقف زكي وصعد طارق بجواره في السيارة وتوجها إلى احد العمارات المطلة على هايد بارك. فتح زكي باب العمارة الخارجي بمفتاح معه وصعد السلم امام طارق وبيده سلسلة المفاتيح حيث فتح باب احدى الشقق. وجلسا في الصالون يشربان ويتحدثان عن ايطاليا ولندن والاقمشة. بعد حوالي الساعة دق جرس الباب، فنهض زكي وكبس على زر المايكروفون وتحدث ببضع كلمات بالانجليزية ثم انتظر قليلاً حتى طرق باب الشقة ففتحه ليدخل رجلان وفتاتان، احدهما اشقر الشعر طويل عمره لا يتجاوز ٢٧ عاما،

امـا الآخـر ففي الاربعين من عمره اسمر اللون وشعره خفيف اقرب إلى الصلع. واما الفتاتان فلا يتجاوز كل منهما العشرين سنة، تتمتعان بجمال وافر، شقراوان فيهما اغراء وعدم كلفة. جلست احـداهمـا بجواره بعد التعارف، تبادل معها الحديث والنكات واللمسات.

مال زكي على اذنه هامساً:

ـ طارق، بامكانك ان تأخذها إلى غرفة النوم تلك. إعتبر البيت بيتك، فرح بكلام زكي واقنع الفتاة بالقيام معه. كان رأسه يؤلمه بشكل كبير. وعندما ايقظه زكي في الصباح وجد نفسه وحيدا في الفراش، اذ يبدو ان الفتاة قد ذهبت، احس برأسه يكاد ينفلق من الصداع. لبس ثيابه وطلب له زكي سيارة تاكسي اوصلته إلى شقته.

وبعد أربعة ايام اتصل به زكي مجددا يسأله:

ـ هل استمتعت بالسهرة؟

ـ كانت جميلة جدا والفتاة كانت اجمل.

ـ بسيطة. هل انت على استعداد لسهرة اخرى مثلها؟

بالتأكيد. متى؟

ـ عند جماعة اصحابي.

«اوكي». لا مانع متى نتقابل؟

ـ سأمر عليك في الثامنة مساء، انتظرني امام عمارتك.

في ضاحية لندنية

في الثامنة مساء نزل طارق ليجد زكي بانتظاره في السيارة حيث توجه به إلى احدى ضواحي لندن. توقفا في شارع جانبي وتمشيا حتى وصلا إلى عمارة من اربعة طوابق. دق زكي الجرس ففتح الباب ودخلا حتى وصلا احدى الشقق قرع الجرس وما ان فتح باب الشقة حتى رأى طارق ثلاثة رجال وثلاث نساء، ليس بينهم اي شخص ممن كان في السهـرة السـابقـة. الفتيات جميلات، والدخان يملأ الغرفة. شرب معهم وانبسطت اساريره وهو لا يصدق وجوده في مثل هذا الجو، شعر بالامتنان لزكي وهو يميل عليه قائلاً:

- أراك معجبـاً بجـانيت، خذها إلى تلك الغرفة. ستجد فيها سريراً كبيراً، واعتبر نفسك كأنك في بيتي، فهم اصحابي الخلص.

كان يريد مثـل هذه الاشـارة من زكي، فجانيت جاهزة. ضحكت وهي تقوم معه إلى الغرفة وفي الساعة الثالثة فجرا كان زكي يوقظه:

- قم. هل تريد ان تنام هنا عند الجماعة؟

نهض بتثاقل شديد، فالصداع يكاد يمزق رأسه. انه يشرب باستمرار ولم يحدث له ان شعر بمثل هذا الصداع. فتح عينيه بصعوبة ليجد الفتاة تغط في النوم بجواره. حاول ان يلبس ثيابه

فلم يستطع ساعده زكي وهو يقول ضاحكاً:

ـ اذا لم تكن «قد المشروب» فلا تكررها.

لم يكن في حاله تلك قادراً على الاجابة، فسكت مع انه ود ان يخبره بانه يشرب عادة اضعاف ما شربه في تلك الليلة ولا يحدث له شيء من هذا القبيل.

هذه المرة اوصله زكي بالتاكسي إلى شقته وادخله إلى سريره قبل ان ينصرف. كما كاد ينسى احلام بعد ان فتح له زكي اجواء جديدة. وبعد ان جاء زوجها إلى لندن، فكانت تتصل به بين الحين والحين معاتبة: «طارق. اوعى تكون صاحبت امرأة غيري».

فيرد عليها قائلاً: «وهل هذا معقول يا احلام؟».

وكان حين يذهب زوجها إلى الملهى يذهب هو إلى شقتها ساعة أو ساعتين ثم يخرج.

مفاجأة صاعقة

خفق قلبه حين أخبره زكي بعد ايام ان مندوب شركته في بلجيكا وصل إلى لندن مع زوجته ويجب ان يعرفه عليه. وكم فرح عندما جاء زكي يصطحبه بسيارته إلى احدى الشقق المفروشة في لندن، حيث وجد هناك مندوب الشركة في بلجيكا وزوجته التي تقترب من الاربعين. رحب المندوب بطارق كما

رحبت به الـزوجـة بحرارة بالغة. بعد برهة دق الجرس ودخل شاب رياضي، تحـادثوا قليلاً وتعارفوا قبل النهوض إلى مائدة العشاء فعرف ان الزوجة التي جلست بجواره اسبانية حدثته عن ماضي العرب وامجادهم في أسبانيا بعد عشاء وضعت موسيقى صاخبـة ويـدا انها ثملت فقامت ترقص بينما زكي والبلجيكي يتحدثان همساً فانزعجا من صوت الموسيقى فقال لها زوجها: «اخفضي الصـوت قليلاً». فردت عليه بغضب «انا احب هذه المـوسيقى واريد ان ارقص عليهـا مع طارق». فقـال الزوج: «حسنـا خذي المـوسيقى وطارق واذهابا إلى احدى الغرف». وكـأن المـرأة كانت تنتـظر مثل هذه الاجابة فأخذت المسجل وقالت لطارق: هيا بنا.

ذهب معها طارق إلى احدى الغرف واخذا يرقصان وهما في قمة النشوة بينما زوجها وزكي يتحدثان في الصالون على راحتهما.

فتح عينيه في الفجر بصعوبة على زكي وهو يهزه بقوة قائلاً:

ـ ما هذا يا طارق؟ الرجل نائم في الصالون وانت هنا مع زوجته. هيا بنا قم بسرعة نهض برأسه المتعب وجسده الثقيل يجر قدميه جرا حتى كاد زكي يحمله حملاً إلى التاكسي.

ومرت ايام لم يدعه زكي إلى سهرة جديدة ولا حتى غداء. كان يتصـل به باستمرار يسأله عن نفسه واحواله وعن الصداع

الذي يصيبه، خصوصاً ان طارق صار يتقيأ بين الحين والحين والصداع لا يفارقه.

بعد اسبوع دعاه زكي على الغداء، في البداية سأله عن حاله. ولما لعن طارق الصداع قال له زكي: «انه المشروب. والافضل ان لا تشرب».

فرد طارق:

ـ ليس المشروب، فانا معتاد عليه في بيروت.

ـ هل تعرف ضباطا في منظمة التحرير الفلسطينية؟

دهش طارق وتسارعت دقات قلبه للسؤال الغريب المفاجىء. وبشعور عفوي رد قائلاً باقتضاب:

ـ لا.

فقال زكي:

ـ لا بد انك تعرف بعضهم أو احدهم على الاقل.

تمالك طارق زمام نفسه وهو يسأل:

ـ لماذا؟

فقال زكي بحزم وهو يرمقه بحدة:

ـ من الافضل لك ولنا ان تعرف احدهم.

ـ انتم من؟

فقال زكي بهدوء:

ـ نحن «الموساد» المخابرات الاسرائيلية!

صعق الفتى ولم يعطه زكي وقتاً كافياً ليفيق من صدمته، اذ اخرج من جيبه مغلفاً كبيراً القاه امام طارق وخرج. ففتح طارق المغلف بسرعة ووجد مفاجأة صاعقة في داخله فمادت الارض تحت قدميه.

ماذا في المغلف وما هي المفاجأة؟

الفصل الثالث

العملية الاولى في بيروت

صعق طارق، وصار الدم في عروقه كالعجين. فهذا زكي، الرجل الخمسيني الطيب، يتحول فجأة إلى ذئب كاسر. شعر بأن المغلف يحتوي على مصيبة، لكنه لم يجد بداً من فتحه، خصوصاً ان زكي قد ذهب وتركه وحده يبلع ريقه ومرارته وخوفه. فقد هزته كلمة «الموساد» واصابته بقشعريرة في الجلد والدم. مد يده، وتناول المظروف وفتحه، فاذا هو يحتوي على صور له في اوضاع مخجلة. ها هو يظهر بوضوح في الصور في مواقف شاذة مع شباب ورجال أجانب. تذكر الشاب الرياضي في سهرة المندوب البلجيكي، هذا هو نفسه الذي يقف خلفه في ذلك الوضع الشاذ الذي يعرق له الجبين.

اخـذ طارق يرتجف بشكـل لا ارادي. خرج من المطعم حامـلاً المغلف بيده وهو لا يدري كيف حصل ذلك، كل ما يذكره انه كان يختلي بالنساء في تلك السهرات، فكيف يجيئه الرجال من حيث لا يدري ولا يعي؟

تذكر وجع الرأس الذي كان يصيبه في السهرات الحمراء تلك. مشى وحيداً في الشوارع. تسكع بلا هدف، رأسه يكاد ينفجر. فقد خيل اليه في لحظة انه نسي شذوذه واسترد شيئاً من رجولته الضائعة. لا احد في لندن يستطيع ان يتحدث معه في مثل هذا الموضوع. خطرت احلام في خاطره، وظن انه يستطيع ان يحدثها في هذا الأمر، وكيف ضحك عليه وكيف خدع، لكنه اكتشف، بعد امعان في التفكير، ان احلام هي التي تقف خلف ما حدث له، فقد تذكر ما قاله اخوها ابراهيم من انها اتهمت بالتعامل مع المخابرات الاسرائيلية، وحاول ان يربط التفاصيل الصغيرة بعضها مع بعض. فهل انقطع الرجال في لندن لتأتي به من بيروت على حسابها وتسكنه في شقة في عمارتها وتدفع له الايجار والمصاريف، ولا تراه الا نادرا؟ هل يعقل ذلك، ام انها هي التي دبرت كل شيء، وهي على اتصال بزكي منذ البداية؟

احس بأن الارض تدور به، ولا بد انهم وضعوا له مخدراً في الطعام والمشروب. والا ما معنى ذلك الوجع الحاد في الرأس وعدم قدرته على الوقوف ولبس ثيابه لدرجة ان يحتاج لمساعدة زكي كي يلبسه البنطلون؟

وصل طارق إلى شقته، والقى بنفسه على السرير بكامل ثيابه حاول ان ينام فلم يستطع. نهض تمشى في الغرفة جيئة وذهابا. صنع فنجاناً من القهوة وشربه، لكن رأسه ظل يدور.

صب لنفسه كأسا من الشراب وتناوله دفعة واحدة، واتبعه بثان وثالث وارتمى على السرير يبكي ويبكي. ود لو انه يستطيع ان يقتل نفسه ويرتاح فيريح اهله من الفضيحة والاحراج. فماذا لو وصلت هذه الصور إلى اهله؟ ما الذي يفعله ابوه واخوته؟ ضرب رأسه بيديه وهو يبكي. فكر في ان يصعد إلى شقة احلام فيخنقها بيديه، فهي السبب، وعاد شريط لقائه بها إلى ذاكرته منذ البداية في مطعم نصر، ولم يصدق ان ذلك اللقاء كان مرتباً. كيف يعرفون كل ذلك؟ وسرح تفكيره في الرسام: هل هو أيضاً مخابرات اسرائيلية؟ وسعيد والآخرون؟ ولم يصدق ثم فجأة، رن الهاتف، فظن انها احلام، ولم يكن في حالة تساعد على الحديث، فلم ينهض. لكن الهاتف ظل يرن باصرار فقام متثاقلاً. رفع السماعة قائلاً:

ـ هالو.

وجاء الصوت قوياً حاداً كالمسمار:

ـ كيف حالك اليوم؟

كان زكي على الخط. فوجىء طارق به، ولم يدر كيف يرد عليه، فصمت ولم يجد جوابا. هل يقول له انه بخير، ام يشتمه؟ ولم يتركه زكي في حيرته طويلاً فاستطرد:

ـ أسمع. اريدك في مكتبي الآن.

فقال طارق بذل:

ـ وأين مكتبك؟

فقال زكي :

ـ ستعرفه لو فكرت قليلاً واستعملت عقلك.

حاول ان يفكـر، الا ان رأسـه كان مزدحماً بالافكار المتناقضة والغضب المكتوم.

فقال :

ـ لا أعرف أين مكتبك.

فرد عليه زكي :

ـ فكر.

ولم يكن بحاجة للتفكير فعلاً. تذكر انه يكلم زكي، ضابط المخابرات الاسرائيلية فقال :

ـ تقصد سفارتكم؟!

فقال زكي ببرود :

ـ برافو. هل تعرف العنوان؟

فأجاب بسرعة :

ـ لا.

فقال زكي :

ـ عندك في الشقة دليل التلفون. ابحث عن اسم السفارة وستجد العنوان. خذ تاكسي على الفور، وقل لهم على الباب انك تريد مقابلتي وان أسمك فلان.

في السفارة الاسرائيلية

وضـع طارق السمـاعة وتناول دليل التلفون واخذ يبحث تحت باب «سفارات» عن السفارة الاسرائيلية حتى وجده، فقام على الفور واوقف سيارة تاكسي وقال لسائقها: «كنزنجتون من فضلك. . بالاس جرين»! وحين رأى علم السفارة الاسرائيلية قال للسائق: «هنا من فضلك». دفع الاجرة واخذ يتطلع حوله نحـو الباب الرئيسي ضغط على الجرس قائلاً في «الانترفون» اريد مقابلة زكي، فوق رأسه رأى كاميرا مثبتة. تطلع فيها لحظة فاذا بالباب يفتح اوتوماتيكيا، دخل الحديقة ومنها عبر إلى حجرة صغيرة يقف في بابها رجل امن في يده الة. فتشه الرجل بيديه وبالآلة تفتيشاً دقيقاً، ثم اخذ منه علبه السجائر ففتحها واخرج محتوياتها ثم تحسسها قبل ان يعيد اليها السجائر وكذلك فعل بالولاعة: فتحها وتفحصها ثم اعادها اليه وهو يشير إلى رجل امن آخر يجلس في الغرفة على احد المقاعد الصغيرة، وهو الذي قال لطارق: «اتبعني» فتبعه إلى غرفة أخرى قبل ان يصعد به إلى اعلى. وامام احد الابواب المغلقة وقف رجل الأمن وخلفه طارق، قرع الباب قبل ان يفتحه، فاذا زكي يجلس امام مكتبه. وما ان رأى طارق حتى نهض وهو يبتسم مادا يده مصافحاً، في الوقت الذي انصرف فيه رجل الامن. مد طارق يده بفتور وخجل مذل وصافح الذئب الضاحك، الذي اجلسه على كرسي امام

مكتبه وهو يقول:

- كيف حالك؟

فقال طارق بانكسار:

- اريد «نيجاتيف» الصور.

ضحك زكي الذي كان يشعر بفرح غامر في داخله لطلب طارق ومجيئه اليه في السفارة. فقد تيقن ان الفتى قد وقع الآن، فعدا عن الصور الشاذة اصبحت لديه الآن صور لطارق على مدخل السفارة وفي غرفة رجال الامن وفي مكتبه أيضاً. فقال لطارق:

- وماذا تريد من «النيجاتيف» انها محفوظة في أمان.

فقال طارق وهو يغالب دموعه:

- لماذا فعلت معي هذا؟

فقال زكي وهو يبتسم بلؤم:

- وما الذي فعلته معك؟ لقد فعلنا معك ما تريد وتحب، ألم تفعل ذلك في بيروت برضاك؟ اما اذا كان خوفك من الصور و«النيجاتيف» فلا تخف لأنها لن تصل إلى يد أي مخلوق اذا ما تعاونت معنا باخلاص. اما اذا حاولت ان تلعب بذيلك فسوف تصل منها نسخ كثيرة إلى اهلك وكل اصحابك ومعارفك.

- وماذا تريد مني؟

- لا اريد الكثير، ولكنني اريد الحقيقة. واريدك ان تتعامل معي

بصدق واخلاص.

ثم تناول من فوق مكتبه دفتراً كبير وقلماً وقال لطارق:

ـ خذ هذه واكتب الآن كل شيء عن حياتك، منذ كنت في المدرسة وإلى ان أتيت إلى لندن. يعني لا تنسى شيئاً منذ خلقت حتى هذه اللحظة، كعلاقتك مع الرسام والاثرياء العرب في بيروت والمنظمات الفلسطينية.

ذهل طارق لمعرفة زكي بكل هذه الامور عنه رغم انه لم يذكر له أي شيء عنها. وتذكر ان احلام هي الفتاة التي كانت تتسقط اخباره، والتي منها يأخذ زكي المعلومات عنه. فقال:

ـ اذا كنتم تعرفون كل ذلك عني فلماذا تريدني ان اكتب لك كل شيء؟ ما الذي ستستفيده؟

نهض زكي عن مقعده وهو يقول بحزم:

ـ ابتداءً من هذه اللحظة انت لا تسأل ولا تستعمل كلمة «لماذا» أبدا. عليك ان تنفذ فقط ما يقال لك.

هاج صدره بالغضب! وانكب على الورق يكتب كل شيء عن حياته واهله وعلاقاته ومخازيه بالتفصيل. وما ان انتهى من الكتابة حتى دفع بالاوراق باتجاه زكي الذي رمقه بنظراته النافذة قائلاً: «نريدك ان تذهب إلى بيروت وتعود الينا بعد شهر. وإياك ان لا تعود معتقداً انك هناك في أمان بعيداً عنا. يجب ان تعلم

ان يدنـا طويلة وستـطولـك لو كنت في آخـر الارض أو تحت الارض، فاهم؟!».

بداية اللعبة

اومأ طارق برأسه وهو يفكر كيف وقع في هذه الورطة. كان ينظر بعينيه نحو المستقبل فلا يرى لنفسه خلاصاً. لقد وقع في الفخ. وها هو قد كتب لهم اسماء كل معارفه من اثرياء وغير اثرياء. فهل سيبتزونهم أيضاً كما ابتزوه؟ وهل سعيد عميل لهم؟ واذا لم يكن، فمن المؤكد انهم يسعون اليه ويوقعونه في الفخ كما اوقعوه، وسيوقعون الكثيرين، «تبا لهم من شياطين اوغاد» يلبسـون لبـوس الاصـدقـاء ويتقنعون بالطيبة، يتكلمون لغتنا العربية ويتقنون لهجاتنا المختلفة. يبحثون عن نقاط الضعف فينا. ويضربون ضربتهم. ها انا قد خسرت الكثير لكن بقي لي ان صورتي لدى اهلي ما زالت نقية، فلأحافظ على هذه الصورة في عيونهم على الاقل، لأن «أمي وأبي سيموتان قهراً لو عرفا انني شاذ وأبي قد يقتـل نفسه قبل ان يخرج إلى الشارع ليراه الناس فيتضاحكون عليه وهم يشيرون إليه بقولهم: هذا أبوطارق المسكين، ابنـه كذا وكـذا. واخـواتي، ماذا سيفعلن وهـل سيتركهن الناس في حالهن؟ سيتقولون الكثير وسيقلبون حياتهن إلى جحيم. الا ليتني خلقت بنتاً قبل هذا الامر، فرت الدمعة من عينيه وهو يتذكر اهله فرداً فردا.

ولم يفكر طارق في اهله كيف سيكون حالهم فيما لو عمل مع المخـابرات الاسرائيلية واكتشف امره. ما الذي سيحصل لوالده حين تظهر حقيقته كجاسوس خائن لأمته واهله وعروبته ووطنه اضافة إلى شذوذه. كان كل همه محصوراً في الحاضر. اذا لم يتعاون فانهم سيرسلون صوره الخليعة إلى اهله واصدقائه ومعارفه. فأين يضع رأسه بعد ذلك؟ كان المهم عنده في تلك اللحـظة ان يستـر الحـاضـر وواقعه المخجل تاركاً المستقبل للايام، والمخـابـرات الاسـرائيلية وقـدرتهـا على كتمان السر والمحافظة على عملائها.

اخرجه زكي من تأملاته قائلاً:

ـ اسمعني جيدا، منذ الآن سيكون اسمك جونسون، واتصالاتنا ستكون سرية فحين تصل إلى لندن، ابحث عن تلفون السفارة في الدليل. لا تحمل الرقم معك ابدا. وعندما ترد عليك عاملة الهاتف في السفارة قل لها: انا جونسون وأريد زكي. واعطها رقم هاتفك ولا تزد. فاهم؟

اومأ طارق برأسه وعلامات القرف ترتسم على وجهه لقول زكي «يا شيخ المشايخ».

وهناك قال زكي:

ـ لكنك ستعطيها رقم هاتفك بالشيفرة حتى اذا ما سمعه احد لن يفهم منـه شيئـاً، وسـوف نعلمـك طريقـة الشيفـرة في الوقت

المناسب. وبعد ان تترك هذه الرسالة القصيرة مع عاملة الهاتف لا تفعل شيئاً ولا تعاود الاتصال لأنني سأتصل بك في الوقت المناسب لترتيب موعد للقائنا. ويجب ان تتقيد بكل ما اقوله لك لأنه ضروري لأمنك وحمايتك.

بدأ طارق يدخل في اللعبة. فقد استهوته مسألة الشيفرة، وهذه التعقيدات المخابراتية وظن انه سيكون جاسوساً من نوع جيمس بوند، وعاد زكي يقول:

حين تذهب إلى بيروت، اريدك ان تفتح عينيك واذنيك جيدا، وتتعرف على الضباط الفلسطينيين في منظمة التحرير الفلسطينية. وأي ضابط تعرفه أو تتعرف عليه. ادرس احواله جيدا: كيف يفكر وكيف يعيش وهل هو متزوج ام اعزب وكم عدد اولاده. وما هي اسماؤهم واعمارهم؟ وزوجته كيف تعيش؟ وأهله واقرباؤه؟ وكم يتقاضى راتباً، وكيف يصرف على نفسه وعائلته وعمله وهواياته، وأي الصحف يقرأ. وما هي الاخبار التي تهمه، واذا قرأ خبراً في صحيفة هل يناقشه أو انه يأخذه كما هو ثم هل هو متزن ام متهور؟ واصدقاؤه؟ كل ما يمكن ان تجمعه من اخبار يا شيخ المشايخ فهمت:

ومرة أخرى اومأ طارق برأسه قبل ان يستطرد زكي قائلاً:

ـ افعل هذه الامور البسيطة، دون ان تلفت اليك الانظار.

ثم فتح زكي درج مكتبه واخرج منه مظروفاً اصغر متوسط

الحجم القاه امام طارق قائلاً:

- إلى اللقاء بعد شهر يا شيخ المشايخ، ولا تنس ان اسمك جونسون في الهاتف.

الى بيروت

وصل طارق إلى بيروت وهو يفكر طيلة الوقت بالنقيب خليل، مسؤول أمن «١٣» في الحمراء. وحين توجه إليه صباح اليوم التالي، احس برجفة تسري في بدنه، وحين عانقه تمنى لو انه يستطيع اخباره بكل شيء لكنه فكر في شذوذه وفي الصور التي يحتفظ بها زكي، وفي اهله، فعدل عن تلك الرغبة التي راودته للحظة. شربا قهوة في المكتب وتحدثا عن لندن ونسائها والحياة فيها، ثم عن بيروت واحوالها. وعرجا على الامور الشخصية فتحدث خليل عن الشؤون المادية. وعند الظهر ذهبا إلى المطعم الصغير الكائن في جوار مبنى جريدة «النهار» حيث تناولا الغداء وتواعدا على اللقاء في اليوم التالي.

تعددت اللقاءات، وتعددت الخدمات بينهما، صارا صديقين حميمين يتغديان معا ويلعبان «الفليبر» معا. وكان خليل دائماً يبدي استعداداً لحماية طارق من كل مكروه. حدثه عن زوجته القديمة وعن اولاده، وزوجته الجديدة، بل ان خليل دعا طارق إلى فنجان قهوة في غرفته التي يستأجرها على السطوح، حيث تعرف على زوجته اللبنانية الجديدة، وادرك

طارق ان احوال خليل المادية ليست على ما يرام.

حان موعد السفر إلى لندن، تأمل طارق المعلومات التي سيأخذها معه. فوجد انها تافهة ولا تستحق. فكل ما لديه من معلومات لا يتعدى الامور الشخصية: ضابط في منظمة «الصاعقة». . . الجنسية متزوج مرتين وله ولد واحد فقط. . . مسؤول الامن في مكتب «١٣» ـ منطقة الحمراء متهور وقراءاته قليلة جدا ولا يناقش الامور، واية اخبار تصله يأخذها كما هي ولا يحلل اخبار الجرائد. ولا يحاول النظر في العمق ولا في ما هو ابعد، يقضي اكثر من ٤ ساعات يومياً في لعب «الفليبر». فهل هذه معلومات تستحق ان تدفع فيها اسرائيل كل هذه المصاريف من تذاكر سفر وشقق في لندن ومشروب ونساء ودولارات؟ وللحظة، اعتقد ان الاسرائيليين اغبياء، وان في «الموساد» ضباطاً كل همهم تسجيل مواقف واعمال تبريراً لما يلهفونه من فلوس. فاذا اعطاه زكي ٣٥٠ دولاراً، فانه بالتأكيد يكون قد سجل انه اعطاه ٢٥٠٠ دولار.

في مطار هيثرو ركب قطار «الاندرجراوند» إلى نايتسبردج. ومن هناك استقل سيارة تاكسي إلى العمارة التي كان يسكن فيها حيث وجد شقته في انتظاره، ايجارها مدفوع والبواب يحتفظ له بالمفتاح. تمدد في الشقة قليلاً ثم نهض واغتسل ونزل إلى الشارع يبحث عن هاتف عمومي. اتصل بالسفارة قائلاً: «انا جونسون وهذا رقم هاتفي. . . اريد ان اتحدث مع زكي لو

سمحت، ثم اقفل الخط وعاد إلى الشقة ينتظر. حوالي الساعة التاسعة مساء قفز من السرير كالملدوغ حين رن جرس الهاتف. اذ يبدو انه كان متعباً فغفا بعض الوقت رفع السماعة فاذا زكي على الخط يقول له:

ـ الحمد لله على السلامة يا شيخ المشايخ.

ورد طارق:

ـ شكرا. لقد وصلت اليوم إلى لندن. كم الساعة الآن؟

فقال زكي:

ـ الساعة التاسعة. بامكانك ان تسهر هذه الليلة. وغدا تأتي إلى مكتبي في كنزنجتون الساعة الخامسة بعد الظهر.

قال طارق:

ـ «أوكي».

ثم سمع زكي يضع السماعة على الطرف الآخر لتنتهي المخابرة عند هذا الحد.

الفصل الرابع

تجنيد الضابط خليل

في اليوم التالي كان طارق يقف امام السفارة الاسرائيلية في حي كنـزنجتون، ويضغط على الزر وبعد التحقق من صورته على الشاشة الداخلية، فتح الباب الحديدي الضخم ليدلف منه إلى غرفة التفتيش حيث خضع هنالك لاجراء روتيني قبل ادخاله على زكي الذي كان في انتظاره حسب الموعد المحدد.

نهض زكي من خلف مكتبه مرحباً بطارق وهو يبتسم قائلاً:

ـ اهلا. اهلا بشيخ المشايخ، كيف الحال، وكيف الاهل وكيف بيروت؟

ـ رد طارق باقتضاب قائلاً:

ـ الحمدلله، كلهم بخير.

ترى هل فكر طارق في قوله، الحمدلله، كلهم بخير، أم انها عبارة تقليدية، كيف يكونون بخير وكيف لمثله انِ يحمد الله وهـو يخـون الله والـوطن والاهـل والاصحاب، يتركهم طعماً لمدافع اسرائيل وقنابلها العنقودية؟

ظل زكي يسـأل طارق عن اخوته واهله، وطارق يرد عليه بتلك الاجـابـات التقليدية. ثم بعد برهة تناول من جيبه ورقة المعلومات الجديدة التي احضرها معه من بيروت، تناول زكي الـورقة منه والقاها على المكتب بلا اهتمام ثم نهض ليصافح طارق مودعاً:

ـ شكـراً، غدا نلتقي السـاعة الحادية عشرة صباحاً في الهايد بارك. ، هل تعرف الهايد بارك جيداً؟

ـ إلى حد ما.
هناك كشك على مقربة من ركن الخطباء هل تعرفه؟
ـ اعرفه.
حسنا اذن موعدنا هناك.

في صباح يوم الموعد، كان طارق في تمام الساعة الحادية عشرة يقف امام الكشك ويشتري لنفسه «سندويتش» جبنة، فهو لم يتناول افطاره بعد ولم يكن قد انهى «السندويتش» حين اطل زكي، الـذي مشى امـامه فتبعه طارق على مقربة. وظل زكي يمشي ويدلف من شارع إلى شارع حتى دخلا في شارع فرعي باتجاه واحد. وحين وصل زكي إلى فندق صغير دخل فيه فتبعه طارق على الفـور واتجه زكي إلى المقعد مباشرة دون ان يمر على موظف الاستقبال. في الطابق الثالث توقف المصعد وخرج زكي يحمـل في يده مفتـاح الغرفة رقم ٣٥. فتح باب الغرفة

ودخلا. ثم انحنى زكي وتناول حقيبة صغيرة بنية اللون من تحت السرير ناولها إلى طارق قائلاً:

ـ خذ هذه الحقيبة وفتشها جيدا.

وتناول طارق الحقيبة واخذ يبحث عما فيها فلم يجد شيئاً فأعادها بقوله:

ـ لا يوجد فيها أي شيء.

فقال زكي.

ـ تفحصها جيدا.

واعاد الفتى تفحص الحقيبة فلم يجد فيها أي شيء فقال:

ـ ماذا تقصد؟ قلت لك ان الحقيبة فارغة.

ـ الم تلاحظ عليها أي شيء.

فاومأ له بالنفي وهو يحاول ان يجد شيئاً ما في الحقيبة عندئذ ابتسم زكي وهو يقول:

ـ هذا هو التفتيش الطبيعي، ومن الصعب اكتشاف هذا المخبأ السري فيها في الموانىء والمطارات. هذه هي الحقيبة السرية يا شيخ المشايخ.

وحين فتح له المخبأ السري وعلمه طريقة فتحه واغلاقه، ناوله ورقة اسئلة جديدة ومبلغ ٣٠٠٠ دولار نقداً. ثم قال له:

ـ هذا المبلغ حاول ان تقرض خليل منه شيئاً ثم طالبه بالمبلغ ولا تلح عليه، فاذا ما عجز عن السداد اعطه ورقة الاسئلة

ليجيب عليها في مقابل الفلوس. فاذا سألك عن الجهة التي تريد هذه الاجابات قل لها انها مخابرات حلف شمال الاطلسي.

ـ حلف شمال الاطلسي (ردد طارق باستغراب ودهشة).

فقال زكي:

ـ نعم. حلف شمال الاطلسي (وناوله تذكرة سفر والحقيبة السرية وهو يقول).

ـ لا تحاول ان تهرب بالفلوس أو تتهرب، لاننا نستطيع الوصول اليك اينما كنت، ثم لا تنس ان الصور ومسوداتها موجودة لدينا.

فرد طارق بصوت منخفض:

ـ لا تخف.

هكذا كان ضابط «الموساد» يتعامل مع طارق ويستعمل معه التهديد تارة واللطف تارة. حتى اصبح الفتى مسيطراً عليه تماماً، اذ كان خالي الوعي والادراك مما تفعله يداه من تخريب في أمن الثورة الفلسطينية وأمن بلده، كل ما كان يعنيه في البداية تلك الصور التي التقطوها له في اوضاع مخجلة يندي لها الجبين، وكان كل همه ان لا يندى جبين ابيه، ولا جبين أي من اهله وعائلته امام الناس اذا ما عرفوا حقيقته وبالاضافة إلى الصور كان هناك العامل المادي الذي لعب دوره في عمالة الفتى وتجنيده للعمل مع العدو فالدولارات التي تأتي من

اسـرائيل بلا تعب. وهـذه السفرات إلى اوروبا التي يعلم بها مجايلوه من الشباب، عملت عمل السحر في عقله.

خطة تجنيد خليل

قضى طارق ثلاثة ايام أخرى في لندن يتسكع في الشوارع والحانات حتى لا يثير الشبهات بعودته السريعة إلى لبنان. وفي اليوم التـالي لوصـوله إلى بيروت توجه في الصباح إلى شارع الحمراء حيث عرج على مكتب أمن ١٣ التابع لـ «الصاعقة». استقبله خليل بترحاب كبير، وبعد فنجانين من القهوة بدأ خليل يشكو من صعوبة الاحوال المادية، ومصاريف العائلة والاولاد. فقد خيل لضابط «الصاعقة» ان طارق غني اذ يتاجر بالملابس ويسافر إلى اوروبا. وقد ادرك طارق ان صديقه خليل مخدوع به، فدعاه إلى الغداء في مطعم «اللامب هاوس» ليعمق من هذا الانطباع في نفس الصديق الضابط وفعلا تم له ما اراد، اذ طلب الضابط من طارق وهما على الغداء ان يقرضه الف ليرة لحاجته الماسة، فقال طارق:

ـ ولو يا خليل! بسيطة غداً يكون المبلغ معك.

ويبدو ان خليل استمرأ عملية الاستدانة من طارق ظانا انه، جبل مالي، لا تهزه الريح، فصار في كل اسبوع يطلب منه ـ معتذراً عن عدم التسديد ـ مبالغ اضافية تتراوح من ١٠٠ إلى ٥٠٠ ليرة حتى صار مجموع ما اقترضه قبل نهاية الشهر ينوف

على ٣٠٠٠ ليرة. وذات يوم كانا يتغديان في «مطعم العجمي» حين قال خليل لطارق:

ـ طارق، أرجو ان تعذرني على عدم تسديد المبلغ كله لك، فانا لا استطيع ذلك خصوصاً وانك تدرك حالتي المادية جيداً.

فقال خليل:

ولا يهمك، انا لا اريد منك أي شيء. وبامكانك ان تنسى تماماً ان لي عليك ديناً. بل انا مستعد لاعطائك المزيد.

دهش خليل لرد صديقه، ولم يعرف كيف يشكره، كان طارق يبتسم وهو يرى خليل يبحث عن كلمات الشكر المناسبة. لما سكت خليل عاجله طارق بقوله:

ـ أريد منك خدمة صغيرة؟

فقال خليل:

ـ انت تأمر.

مد طارق بيده إلى جيبه وأخرج منها الورقة التي اعطاه ضابط «الموساد» زكي وناولها إلى خليل قائلاً:

ـ اقرأ هذه الاسئلة جيدا، وانظر اذا كنت تستطيع الاجابة عليها.

قرأها خليل بسرعة ونظر في وجه طارق قائلاً:

ـ بس هيك؟!

فقال طارق:

ـ نعم. بس هيك. واذا اجبت عليها بدقة فستحصل على المزيد من الفلوس.

ـ أعطني مهلة يومين فقط وستكون الاجابات جاهزة تماماً.

فكر طارق في مهلة اليومين هذه وخشي ان يقوم خليل باطلاع المخابرات الفلسطينية أو مخابرات «الصاعقة» أو مخابرات بلده فاراد ان يجس نبضه فقال بلا اكتراث:

بأمكانك إطلاع الجماعة على الأسئلة.

فقال خليل بحزم:

ـ مستحيل. اذا عرفوا فسيكون احد امرين: اما مصيبة أو ان يأكلوها هم ونخرج نحن من المولد بلا حمص.

ضحك طارق اذ ادرك ان خليل مستعد لكل شيء في سبيل الفلوس. وحين سأله خليل مستفسراً.

ـ لمن هذه الاسئلة؟

أجاب طارق ببساطة: حلف شمال الاطلسي.

كانت الاسئلة عادية وعامة ومعروفة للجميع في لبنان، مثل: من هو أمين سر «الصاعقة»؟ وكم عدد الاعضاء فيها؟ ومن هو مسؤول الاعلام، وعدد القوات والميليشيا ونوعية تسليح كتائبها ومسؤول الأمن؟ فالغرض من الاسئلة اختباري من حيث المبدأ. و«الموساد» لا تحتاج إلى هذه المعلومات، فهي تعرفها

جيدا، وملفـاتهـا ملأى بالاسمـاء والمعلومـات عن محـل المنظمات الفدائية.

بعد يومين كان خليل جاهزاً بالاجابات المطلوبة التي كتبها بخط يده في سبـع صفحـات فولسكاب، فقد كان يطمع في ارضـاء طارق ومن وراءه على امـل زيادة الـدفـع، فتوسع في الاجابة وأطنب، وكان ما ذكر اجابته قوله:

الكتائب: توجد كتيبة في الشمال، وكتيبة ثانية في البقاع وثالثة في صيدا ورابعة في بيروت.

التسليح: هاونات ٦٠ ملم، و ٨٠ ملم ودوشكا ورشاشات ٥٠٠.

مسؤول الأمن: أبوعلي، نائبه أبوسليم، مكتب الامن رقم ١٣ مسؤول عن الأمن في بيروت الغربية ورئيسه النقيب خليل.

ثم عدد مسؤولي الامن الاخـرين وذكـر احمـد الحـلاق وأبوسليم وأبوعلي وباقي القائمة من فوق إلى تحت.

تصفح طارق الاجابات قليلاً ثم ناول خليل مبلغ الف ليرة، لكنه طلب منه ان يعطيه ايصالاً بالمبلغ، ولم يتردد النقيب خليل لحـظة واحدة اذ تناول ورقة من على المكتب وكتب فيها «انا الضابط خليل، تسلمت مبلغ ٤٠٠٠ ليرة لبنانية فقط لا غير من مخابرات حلف شمال الاطلسي»، ثم دون التاريخ واسمه مرة ثانية ووقع الورقة دون ان يرف له جفن أو يفكر في العواقب.

ولدى وضع ورقة الاجابات في جيبه، انتهت مهمة طارق في بيروت، فأخبـر صديقـه خليل بأنه مسافر وسوف يعود بعد بضعة ايام.

وفي اليوم نفسـه الـذي وصل طارق فيه إلى لندن اتصل بالسفارة الاسرائيلية حسب الاتفاق وترك خبراً لضباط «الموساد» زكي، الذي اتصل به في المساء نفسه حيث اتفقا على موعد في الصباح في السفارة.

كالعادة رحب زكي بطارق وسأله عن اهله وعائلته وبيروت وزاد بقوله:

ـ وكيف وجدت الضابط خليل؟

رد طارق: «بخير ويسلم عليك». ثم ناوله ورقة الاجابات والايصال الذي سبق لخليل ان كتبهما بخط يده، وضع زكي الورقة امامه على الطاولة وهو يسأل طارق:

ـ قل لي، كيف وجدت مطار بيروت؟ هل فتشوك؟ وهل تعرف احد من العاملين في المطار؟

فأجابه بأن كل شيء مر بسلام اذ لم يفشته احد، ومعرفته بالعاملين في المطار معرفة سطحية ومعرفة عمل من بعيد منذ كان يعمل في شركة السفريات. بعد ذلك طلب زكي ان يحدثه بالتفصيل عن لقاءاته بالنقيب خليل، فشرح له طارق كل شيء لينهي زكي اللقاء الطويل بقوله:

ـ حسناً جدا، الآن تذهب إلى شقتك وساتصل بك غداً أو بعد غد.

خلال هذه الفترة كانت احلام قد غادرت لندن برفقة زوجها إلى نيجيريا، فلم يجد طارق ما يفعله غير التسكع في الشوارع والحانات الكثيرة، إلى ان اتصل به زكي ليعطيه ورقة اسئلة جديدة لخليل بعد ان أوصاه:

ـ قل لخليل ان لا يبالغ وان يلتزم الدقة في الاجابات والا سنقطع تعاملنا معه. نحن نريد الحقيقة فقط لا غير، ولا داعي لاستغفالنا بقوله ان عدد افراد ميليشيا «الصاعقة» ٥٠ الف رجل وعدد القوات ١٥ الفا. نحن نعرف عددهم بالضبط. ابلغه اننا لا ندفع له بحجم الميليشيا. نحن ندفع فقط مقابل الحقيقة.

لم يدرك طارق المغزى من دفع المخابرات الاسرائيلية لهذه المصاريف والمبالغ مقابل معلومات يعرفونها جيدا. لكنه لم يستمر في التفكير طويلاً فقد حسب زكي له حساب مهمته الجديدة ومصاريفها وحساب خليل ودفع له مبلغاً آخر من المال، وقال له: «هذا لخليل وهذا لك. ولا داعي لأن تحضر في كل مرة إلى لندن. بامكانك ان تذهب إلى أي بلد اوروبي وتتصل بسفارتنا هناك كما تفعل هنا تماما وسوف اتصل بك كالعادة».

فالدور الذي تلعبه السفارات الاسرائيلية معروف. ومثال

طارق الحمدان خير دليل على دقة التنظيم وبمجرد ان يتصل شخص ما بأي سفارة اسرائيلية قائلاً «أنا اسمي جونسون واريد ان اتحدث مع السيد زكي . . . أرجو ان تعطوه رقم هاتفي هذا ليتصل بي» هذا الخبر الصغير يرسل فورا إلى اسرائيل، حيث يحول إلى الدائرة المختصة بشؤون المخابرات الخارجية فتحلل الرسالة ويصار إلى ابلاغ الضابط المختص فوراً فيعرف واجبه تماماً.

مكث طارق في لندن عدة ايام اخرى دربه خلالها زكي على اتخاذ الاحتياطات الامنية في اتصالاته وتحركاته، وكيفية المحافظة على امنه الشخصي. «فاذا كنت على موعد مثلاً، عليك ان تذهب إلى هذا الموعد قبل ساعة على الاقل. . . تراقب المكان والناس وتتمشى في كل الطرق المؤدية اليه، فاذا ما تأكدت من ان احد لا يراقبك اذهب في موعدك بسلام. اما اذا لاحظت وجود شيء غريب أو احد يراقبك فلا تذهب إلى الموعد ذلك اليوم. وبالنسبة إلى مواعيدنا نحن، أي موعد لا تستطيع ان تكون فيه في الوقت المتفق عليه يعني انه تأجل إلى اليوم التالي في الساعة نفسها. هذا اذا لم نتصل بك ونحدد زمانا ومكانا آخرين».

فأفضل الف مرة الغاء عدة مواعيد من حصول كارثة. كذلك الحال حين تخرج من لقاء معنا. فلا تذهب إلى البيت

قبل تأكدك من ان احد يتبعك أو يراقبك».

رأى طارق في هذه الامور وغيرها تعقيدات لا مبرر لها، لكنه بدأ يلتزم بها بحذافيرها حتى تعودها وصار ينفذها بشكل طبيعي حتى اصبحت جزءاً من سلوكه.

الوقوع في المصيدة

بعد وصوله إلى بيروت بيوم واحد ذهب إلى مكتب صديقه خليل الذي بادره بذراعين مفتوحين محتضناً ومرحباً، ليسأله بعد دقائق:

ـ ها... هل رأيت الجماعة؟

ـ نعم. وهم يسلمون عليك، وقد ارسلوا لك ٧٠٠ دولار معي.

فقال خليل:

ـ هل هناك اسئلة جديدة؟

ورد طارق:

ـ نعم. لكنهم يعرفون كل شيء فلا تبالغ. لقد فضحتنا معهم.

فقال خليل:

ـ المعلومات التي كتبتها لهم نقلتها من الملفات الرسمية لـ «الصاعقة». على اية حال ولا يهمك، سأعطيك هذه المرة المعلومات بكل البراهين والدقة الممكنة.. هات الفلوس!

ورد طارق:

ـ غداً سأحضرها لك بالليرة اللبنانية.

خشي الفتى من تهور النقيب خليل. فهو مظهري ولا يهمه شيء، وقد ينكشف الامر اذا ما رأى احدهم معه عملة اجنبية، لذلك قام في اليوم التالي بتحويل الدولارات من احد الصرافين الكثر في شارع الحمراء، والذي اعطاه ٢٢٠٠ ليرة لبنانية في مقابلها، سلمها مع ورقة الاسئلة إلى خليل. والورقة هذه المرة زرقاء أيضاً كالمرة السابقة مكتوب في رأسها (الأخ خليل) وموقعة باسم جورج. لكن الاسئلة كانت تفصيلية ودقيقة تتطلب اجابات مفصلة ودقيقة وبالتالي مثل: من هو زهير محسن. ولادته وزوجته واولاده واهله وعائلته ودراسته وهواياته؟ وكيف يداوم وكيف يدبر الأمور؟ ومن هم المقربون منه من داخل «الصاعقة» ومن خارجها؟ . . . الخ، ثم من هو أبوعلي وأبوسليم ومن هو احمد الحلاق؟ وما هي مهمات كل منهم؟ بالاضافة إلى مكتب الأمن ١٣. وما انواع السيارات التي يستعملها المسؤولون وعناوين بيوتهم وصديقاتهم واصدقائهم؟ كذلك السيارات الخاصة بالقوات: نوعيتها ونوع الاسلحة والاعداد والكميات؟

لم يكن من الصعب على النقيب خليل ان يجيب على هذه الاسئلة. فهو يعمل ضابطاً في اكثر اجهزة منظمة «الصاعقة» حساسية، وهو جهاز الامن. لذلك فهو يعرف الكثير من التفاصيل الشخصية والاجتماعية والحياتية للمسؤولين. كما يعرف التفاصيل العسكرية سواء من جهة العمليات التي تقوم بها «الصاعقة» أو لجهة الحراسة والأمن. لذلك كانت اجاباته دقيقة

ومفصلة وفق المطلوب تماماً. اخذها منه طارق واخذ منه ايصالاً بالاستلام شبيهاً بالايصال السابق. ومع الايام ولكثرة تردده على مكتب النقيب خليل، توطدت علاقة طارق بالشباب العاملين خصوصاً في «نسور الثورة» حتى اصبح محسوباً على هذا التنظيم، يكلفه المسؤولون فيه بعض الاعمال الروتينية لكنها في الوقت نفسه مهمة كاستخراج تأشيرات السفر للمقاتلين الذاهبين في مهمات خارجية ومرافقة هؤلاء الشباب إلى المطار واستقبالهم لدى عودتهم من تلك المهمات. فكانوا يثقون به ويفيضون في الحديث معه، فيستمع إلى كل ما يقولون ويرصد بين ذلك كله ما قد يكون مهما لينقله بعد ذلك بكل «أمانة» إلى ضابط«الموساد»زكي في لقاءاته معه والتي كانت تتوالى بسرعة لحرص «الموساد» على عنصر السرعة في عملياتها، خصوصاً وانها جهاز تنفيذي. اي انها حين تتأكد من وجود قاعدة عسكرية فلسطينية في مكان ما، فانها تعطي الاشارة بعد تحديد المكان على الخرائط الجوية ليقوم الطيران بقصف تلك القاعدة دون أي تأخير. ويكون المبرر عادة اما رد على احدى العمليات الفدائية أو افتعال شيء ما. أو اذا لم يكن هناك من مبرر فغالبا ما يتم القصف تحت شعار الضربة الوقائية.

وهنا مكمن الخطورة في عمل طارق الحمدان والنقيب خليل، فهل كانا عاجزين عن ادراك خطورة عملهما؟ بالتأكيد لا، فقد كانا يعرفان ذلك تماما. ولكن الدولارات الواردة من

اسرائيل وانعدام الاحساس الوطني والقومي والانانية ادت إلى ان يلوث الصديقان دماء الاهل وتراب الوطن.

كان طارق الحمـدان قد انهى بذلك مهمته في بيروت، فحمل حصيلة الخيانة وسافر هذه المرة إلى باريس للقاء ضابط «الموساد» هناك الذي كان يعد له مفاجأة جديدة لم يكن يتوقعها مطلقا.

الفصل الخامس

ليلة «الموساد» في فيينا

حمل طارق المعلومات التي توفرت لديه، وورقة الاجابات التي زوده بها النقيب خليل وسافر هذه المرة إلى باريس حيث اتصل بالسفارة الاسرائيلية هناك كما تعود ان يفعل في لندن. وترك لزكي خبراً حول عنوانه وبعد ساعات كان زكي يتصل به مرحباً كعادته وسائلاً عن احوال بيروت والأهل و«الاكوامارينا» فرد طارق باقتضاب:

- الكل بخير متى نلتقي؟

فقال زكي:

- غدا. في السفارة، الساعة الخامسة بعد الظهر.

- إلى اللقاء اذن في الغد.

وفي المـوعد المحدد، كان طارق يقرع الجرس ويدخل البوابة الكبيرة إلى غرفة التفتيش الآلي. ثم إلى غرفة انتظار كبيرة حيث ظل فيها اكثر من نصف ساعة قبل ان يدخل عليه زكي فاتحاً ذراعيه وهو يقول بابتسامة كبيرة على وجهه.

ـ اهلا اهلا بشيخ الشباب انا آسف لتأخري عليك، وما ذلك إلا لأنني هنا ضيف مثلك. من لندن أو بروكسل أو جنيف أو ربما يكون قد جاء من تل أبيب.

تبع طارق زكي عبر ممر داخلي في السفارة، ثم صعدا درجاً صغيراً قبل ان يدخل ضابط «الموساد» إلى احد المكاتب حيث تحدثا قليلاً في المجاملات المعهودة. ثم مد طارق يده إلى جيبه واخرج الاوراق التي كان يحملها معه، وقدمها إلى ضابط «الموساد» الذي راح يقرأ بعدم اهتمام وجفاء. معطياً الانطباع للرائي بأن ما فيها مخيب للأمال، الأمر الذي جعل طارق ينفعل بشدة لكنه كتم غضبه وانتظر تعليق زكي الذي قال:

ـ ما هذا السخف؟ كل هذه المعلومات والاجابات تافهة لاتساوي شيئاً.

فما كان من طارق الا ان هجم على الاوراق يريد تمزيقها، فصرخ به زكي.

ـ ماذا تفعل؟ اجلس ولا تتحرك من مكانك.

وسحب الاوراق من يد طارق بشدة فتراجع الفتى وجلس في مقعده بانفعال شديد.

فقال زكي:

ـ أياك ان تفعل ذلك مرة أخرى. نحن الذين نقرر هنا كل شيء، ونحن الذين نحتفظ ونمزق، انت عليك ان تقوم بواجبك وبكل

ما يطلب منك بدقة. هل تفهم؟

اومأ طارق برأسه بالايجاب ولم يتكلم فقال زكي وهو يبتسم.

- على اية حال. لا تغضب، لاننا سنسهر معاً هذه الليلة.

في المساء التقيا وتناولا العشاء في احد مطاعم باريس وقبل ان يفترقا اتفقا على موعد للقاء في اليوم التالي.

معلومات سرية

من المعلومات التي وردت في اجابات النقيب خليل قوله: كتيبة الاخضر العربي توجد في صبرا، وهناك كتيبة في الشمال والبقاع وصيدا، بالاضافة إلى ثلاثة الاف جندي نظامي من دولة عربية يلبسون لباس «الصاعقة» في الجنوب وعن سيارات القوات كتب انها تتألف في غالبيتها من «التويوتا» و«الشيفروليه»، اما الاسلحة فعبارة عن مدافع ١٠٦ ملم و٧٥ ملم. ودوشكات وهاونات ٦٠ ملم، ورشاشات ٥٠٠ كما جاء قوله ان كل شيء في يد زهير محسن الذي يملك منزلاً في عاصمة عربية وهو عبارة عن فيلا كبيرة وانيقة مؤثثة اثاثاً فخماً، كما لديه منزل آخر في بيروت في بناية «الهوندا» وعن أبوسليم قال انه يبدل سياراته باستمرار وهي دائماً سيارات فخمة من نوع «بيويك» و«شيفروليه» و«مرسيدس» وانه متزوج ويقيم خلف

مكتب «الصاعقة» في محلة جلول في الطابق الثاني وذكر اشياء وتفاصيل كثيرة عن أبوسليم تدل على انه كان يكره الرجل إلى حد كبير اما احمد الحلاق فهو المسؤول عن تدريب الشباب للعمليات الخارجية، كما هو مسؤول عن مكتب الـ ١٩ وله معسكر في بلدة برجا، وانه رجل جدي، متزن وهادىء يقرأ كثيرا ولا يحب السينما ولا وقت لديه لممارسة اية هواية من هواياته غير القراءة. متعصب للثورة الفلسطينية بشكل عام ولـ «الصاعقة»، بشكل خاص. ثم تحدث عن مسؤول الاعلام اسامه بيرقدار ذاكرا، اخلاقه وصفاته وعاداته وهواياته ودراسته وزوجته واولاده، وخرج بخلاصة عن الرجل مفادها انه يتسم باخلاق عالية وانه محبوب جداً في «الصاعقة». وفي ما ذكره أيضاً عن زهير محسن انه يستعمل سيارات «مرسيدس ٢٨٠ و ٣٥٠». اما ماجد محسن فكتب عنه بانه لا قيمة له سوى كونه أخ زهير محسن، لكنهِ افاض في الحديث عن أبوعلي الذي يسكن خلف الامن المركزي والمتخرج من كلية الحقوق في جامعة دمشق. متزوج وله ثلاثة اولاد، بلا اية هوايات. اي انه يذهب من البيت إلى المكتب ومن المكتب إلى البيت، جدي يقرأ كثيراً متعصب للثورة الفلسطينية. قام باحدى العمليات الناجحة في فيينا عام ١٩٧٢ وعلى صلة وثيقة بأحد المسؤولين الكبار في احدى الدول العربية.

والغريب في امر النقيب خليل انه كان يتحدث كثيراً عن

الاشخاص الذي يحبهم ويوجز كثيراً في حآلة الاشخاص الذِين يكــرههم. تبقى المفــارقــة انـه في حديثـه عمن يحب من المسؤولين حديث قاتل، يصدق القول الشائع «من الحب ما قتل». لكن في الوقت نفسه افاض في الحديث عن جهاز الامن لصلته الوثيقة جدا بهذا الجهاز، بينما اوجز كثيراً في حديثه عن القوات والميليشيات، وعن السلاح الذي تعرضت له الطائرات الاسـرائيلية في احـدى الغـارات وقال انها صواريخ «ستريلا» الموجودة لدى المقاومة.

توجه طارق في الموعد التالي إلى السفارة الاسرائيلية حيث اقتيد إلى مكتب زكي، لكنه لم يمكث هناك طويلاً، فقد اخبره ضابط «المـوسـاد» انـه سيعلمه التصوير وعليه ان يخرج الآن وينتظره في محل «الفليبر؟» القريب من السفارة.

بعـد قليل وافـاه زكي الـذي اصـطحبه إلى احد مكاتب التاكسيات حيث استقلا سيارة انطلقت بهما إلى العنوان الذي حدده ضابط «الموساد» فاذا هو عبارة عن بناية قديمة تحمل في واجهتها لوحة نحاسية مكتوب في وسطها كلمة «شارون» دخلا إلى شقة في الطابق الارضي على اليسار، وكان مفتاح الشقة مع زكي. جلسا هناك حوالي نصف ساعة إلى ان جاء رجل متوسط القـامـة، اصلع الرأس عمره حوالي ٥٠ سنة، نحيف الجسم عندئذ قال زكي «شيخ المشايخ»:

ـ هذا الرجل سيعلمك التصوير. هل تعرف التصوير؟
قال طارق: «نعم». فقــال زكي : «لكنـك الآن ستتعلم تصوير الوثائق».

اخذ الرجل يعلم «شيخ المشايخ» كيف يصور بكاميرا من نوع «كوداك» وقال له «اذا كان معك ورقة وتريد تصويرها على عجل . . عليك ان تصورها كما يلي» وتناول الرجل دليل الهاتف وسلط على احدى صفحاته ضوءا بزاوية معينة بينما الكاميرا تبعد مسافة معينة مثلها عن الورقة تاركاً حول الورقة من كل الجهات أيضـاً مسـافـة معينة اثناء التصوير ثم قام الرجل باجراء عملية التصوير امامه، وبعد ذلك دخل الحمام فترة لا تزيد عن خمس دقائق، وعاد يحمل صورة عن الورقة، ثم تناول عدسة مكبرة مثل التي يستعملها خبراء المجوهرات فظهر كل شيء فيها بوضوح.

تصوير وتدريب

بدأ «شيخ المشـايخ» يجـرب التصـوير واستمـر التدريب حوالي ساعتين حتى اصبح يتقنه تماماً. عندئذ انصرف الرجل. وبعد ربع ساعة خرج زكي و «شيخ المشايخ» في اثره.

في اليوم التالي التقى طارق بزكي في السفارة حيث اعطاه ضابط «الموساد» اسئلة جديدة للنقيب خليل ومبلغ ١٥٠٠ دولار

وتذكرة سفر بالطائرة، ثم قال له: «الآن علينا ان نتفاهم على شيفـرة معينة ترسلها بالبريد مثل البرقية كقوله ارجو ارسال ٤٥ بدلة زرقاء بتاريخ ٢٠/٢/٧٩ على ان تصل منها بدلتان كعينة. وتفسير هذه الشيفـرة كما يلي: ٤٥ تعني باريس وزرقاء تعني سفـارة، امـا التـاريخ فهـو تاريخ تنفيذ العملية، والعينـة عدد الاشخاص المنفذين».

اخذ زكي يفسر له نص البرقية. فالرقم دائماً يحمل اسم مدينة معينة، وكل مدينة اوروبية لها رمز ورقم معين، وبشكل عام يمكن تفسير الالـوان في البـرقية كما يلي: زرقاء سفارة، بني: كنيس، أسـود: مؤسسـة يهـودية، الرقم في البرقية: هو مفتـاح البلد الاوروبي، والتـاريخ كمـا ذكـرنا هو تاريخ تنفيذ العملية والعينة عدد المنفذين للعملية بينما اللون هو الهدف.

بطبيعة الحال. كان الغرض من هذه البرقيات انه في حال معـرفـة طارق أو صديقه لأية معلومات حول عملية ستقوم بها منظمة «الصاعقة» يتوجب على طارق ان يقوم بابلاغ «الموساد» عنها. ثم اعطاه ثلاثة عناوين ليرسل اليها برقياته: واحد في لندن والثاني في بلجيكا والثالث في النمسا. وبامكانه ان يرسل إلى أي عنوان يريد في اوروبا الى السفارة الاسرائيلية.

كان غطاء طارق في بيروت انه تاجر ملابس لتبرير سفراته المتكررة إلى اوروبا امام الآخرين من معارفه هناك. فهو يستورد

من الخارج ملابس رجالية. وكان زكي في كل سفره يعطيه عددا من البدلات ليأخذها معه كغطاء لرحلته. لذا كان نص البرقية مأخوذاً من طبيعة عمله الوهمي.

ثم قال له زكي: «لا اريد ان اتمشى معك في باريس لأن فيها كثير من اللبنانيين الذين يعرفونني جيدا اما اذا رآني احد معك فقدمني باسم زهير ماليتزي، من مالطة، وهذه عائلة مالطية موجودة فعلا. لأنني كثيرا ما كنت اذهب إلى «الاكوا مارينا»، اسبح هناك واقضي اوقاتا ممتعة. وليس هناك شيء الذ من سمك السلطان ابراهيم». فجونيه و «الاكوامارينا» جميلتان من حيث الجمال والمتعة ومن المؤسف انه لا تقدر ان تذهب إلى هناك كونك مسلماً ولكنني كنت اتردد على بيروت الشرقية كثيراً».

اكمل الفتى مهمته في باريس وعاد إلى بيروت حيث تقابل هناك مع النقيب خليل فاعطاه المبلغ بالليرة اللبنانية مرفقاً بورقة الاسئلة التي كانت هذه المرة اكثر دقة وتحديداً، اذ كانت احتياجات حقيقية لـ «الموساد» بينما كانت الفترة السابقة عبارة عن نسبة بسيطة من الاحتياجات فيما كانت النسبة الكبرى منها اختبارية لامرين الأول: لاختبار مصداقية المعلومات التي يزودان بها «الموساد» فقد طرح زكي عدداً كبيراً من الاسئلة التي تعرف «الموساد» اجوبتها بدقة متناهية. وكان طبعاً يدس بين

هذه الاسئلة، اسئلة اخرى هم بحاجة ماسة إلى معرفة اجاباتها فكانت الاسئلة الاخرى تغطيها، وكان لا يمكن معرفة الاسئلة الاختبارية من الاحتياجات الحقيقية. اما الامر الثاني فكان اختبار مدى قدرة طارق وخليل على جمع الملعومات، لأن الهدف النهائي من كل هذاالعمل بالنسبة إلى «الموساد» هو المعلومات. ولكن النتائج جاءت ايجابية. فقد كانت الاسئلة هذه المرة تتعلق بالعمليات الخارجية لـ «الصاعقة» التي تركزت حول عمليتين قامت بهما «نسور الثورة» في قبرص وباريس فكانت الاسئلة من نوع: من هو مسؤول العمليات الخارجية؟ وما هي الاهداف المتوقعة في الخارج؟ اين يتم التدريب على العمليات؟ وهل زهير محسن على علم مسبق بهذه العمليات؟

اسئلة دقيقة وخطيرة للغاية.. وكل سؤال من هذه الاسئلة يحتاج إلى شرح مطول بالاضافة إلى صعوبة الحصول على اجابات محددة لمثل هذه الاسئلة. الا ان عمل النقيب خليل في أمن «الصاعقة» جعله قادراً على الرد على كل هذه الاسئلة، بينما بات واضحاً من خلال هذه الاسئلة ان عين «الموساد» بدأت تنفتح على العمليات الخارجية التي تقوم بها «نسور الثورة». فقد كانت الجهود العربية في تلك الفترة منصبة على افشال اتفاقيات كامب دايفيد. لكن بعض العمليات الخارجية كانت في ذلك الوقت تخدم اسرائيل إلى حد كبير كما سنلاحظ من خلال القصة، اذ ترتبت عليها نتائج عكسية تماماً.

قام النقيب خليل بالاجابة على الاسئلة كما يلي: العمليات المتوقعة، أي كنيس في اوروبا والسفارات الاسرائيلية، ومطعم «هوفمان» - احمد الحلاق هو الذي يقوم بتدريب الشباب على العمليات الخارجية والتفجير. ونقل المتفجرات يتم في قعر الحقيبة. ونتيجة لهذه المعلومات كان احمد الحلاق سيذهب ضحية، ولكن الامور تطورت في ما بعد ونجا بعد ان لاحقته «الموساد» لفترة طويلة.

ثم قال أيضاً ان العمليات تتم بناء على طلب من جهاز مخابرات عربية ذكره بالاسم واحيانا بناء على بادرة من أبوعلي. اما زهير محسن فهو على علم مسبق بجميع العمليات وبكل تفاصيلها.

في تلك الفترة كانت منظمة «الصاعقة» تشهد نشاطاً حثيثاً في مجال العمليات الخارجية ضد المصالح الاسرائيلية والمصرية. فقد قامت «نسور الثورة» بعمليات ضد حي للطلبة اليهود في فرنسا، كما قامت بعمليتين ضد السفارة الاسرائيلية في قبرص وضد مكتب الخطوط الجوية المصرية. وفي فترة لاحقة قامت المنظمة ذاتها بتبني هذه العمليات في بيان صدر عنها في بيروت (نقلته وكالة «رويتر» للانباء في ٢٠ ابريل (نيسان) ١٩٧٩.

بعد عودته إلى بيروت قال طارق لخليل: «اذا سمعت أو

حصلت على اية معلومات عن عملية خارجية يجب ان تبلغني باقصى سرعة لأنه اصبح لدينا الآن وسيلة اتصال».

ظرف حرج

في تلك الفترة كانت الجهود العربية والفلسطينية كلها مركزة على افشال اتفاقيات كامب دايفيد. فقد اتخذ قرار في منظمة التحرير الفلسطينية بتصعيد الكفاح المسلح في الاراضي المحتلة، الا ان «نسور الثورة» تجاوزت هذا القرار واعادت العمل الفدائي إلى الاسلوب القديم الذي اتبعته التنظيمات الفلسطينية في فترة الانطلاق التي مرت بها لاثبات الوجود. فمنذ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٧ تاريخ زيارة الرئيس السادات للقدس توالت الظروف الصعبة على المنطقة العربية، وحدث الاجتياح الاسرائيلي الاول للجنوب اللبناني في شهر مارس (اذار) ١٩٧٨ اثر «عملية دلال المغربي البطولية» على شواطىء فلسطين. وفي يوم ٤ سبتمبر (ايلول) ١٩٨٠ اندلعت الحرب العراقية ـ الايرانية، فاصبح العراق مشلولا لا يستطيع القيام بأي دور في الصراع العربي الاسرائيلي، اما الجبهة المصرية فقد اغلقت تماما حيث اختار السادات ان يرحل بمصر بعيدا عن العرب، وفي سلام منفرد مع اسرائيل. ولكن الضرر الكبير الذي حصل على مستوى الثورة الفلسطينية تمثل فعلاً في الحرب العراقية ـ الايرانية. التي استفحلت مما جعل اسرائيل تفكر

جديا في اجتياح لبنان. ومثل هذا الامر ما كان ليحصل لو لم تكن قدرات العراق مشغولة في الحرب مع ايران.

كان النقيب خليل يعمـل في جهاز أمن «الصاعقة» وكان طبيعياً ان يتأثر مباشرة بالتطورات والاحداث في هذا الجهاز. الـذي كانت استعـدادات مسؤوليه على قدم وسـاق لتصعيد العمليات. وكانت مهمة خليل تتمثل في اعداد تاشيرات السفر للشبـاب وتـذاكر السفر وايصالهم إلى المطار. ولم يكن احد يشـك في النقيب خليل من حيث صدقـه واخـلاصه لمبادىء «الصـاعقة» ولم يلاحظ عليه المسؤولون أي شيء يثير الشك والـريبة. وبطبيعة الحال فمسؤولية انحرافه يتحملها هو وليس التنـظيم الذي يعمل فيه لانه ليس من الطبيعي ان يدخل أي تنظيم في حالة مرضية من الشك في عناصره دون مبرر. وهذه مسألة في غاية الاهمية، ففي فترة من الفترات كانت «الموساد» تعمد إلى بث حالة من التشكيك في عناصر منظمة التحرير الفلسطينية.

كان النقيب خليل ينتمي إلى جناح في منظمة «الصاعقة» هو «نسور الثورة» وحاول جلب طارق إلى هذا التنظيم. وبسبب الفـوضى التي كانت تعيشهـا التنـظيمـات الفلسطينية، اصبح طارق يكلف مع خليل بتسهيل سفـر الشبـاب بحكم علاقتـه السابقة مع شركات السفر.

وفي احد الايام طلب خليل من طارق استطلاع هدف معين في اوروبا فأرسل طارق في اليوم نفسه البرقية التالية إلى زكي : «هل من الممكن ارسال بدلات؟ واين يمكن استلامها؟» .

وكـانت برقية غريبـة مما جعل زكي يتصل هاتفياً من بلد اوروبي بطارق ليستفسره عن هذا الطلب الغريب، ففهم زكي ان الجماعة يبحثون عن هدف.

بعد عدة ايام وصلت إلى طارق رسالة تحتوي على دليل سياحي لفيينـا وحول كلمة «كنيس» موضوعه اشارة (×) . فهم الفتى الرسالة. فأخذ الدليل السياحي إلى خليل وقال له : «لقد اخذت الدليل من السفارة النمساوية، واعتقد ان هذا الكنيس اليهودي يشكل هدفا نظيفاً» .

وبطبيعة الحال، ارادت المخابرات الاسرائيلية ان تنجح العملية لانها هي التي اقترحت الهدف وكانت تعرف أيضاً ان مثل هذه العملية لن تنجم عنها خسائر بشرية أو مادية كبيرة، ولكن لها فائدة معنوية كبيرة تساعد (اسرائيل) في التحريض ضد الثـورة الفلسطينية لتأليب الاوساط اليهودية في النمسا واوروبا بهدف اظهار الثورة على انها منظمة ارهابية تحارب اليهود اينما كانوا، وليس الصهاينة الاسرائيليين فقط.

عاد النقيب خليل إلى الفتى وقال له ان الجماعة في «نسور الثـورة» قد وافقـوا على الهدف فأخذ يجهز سفر احد الشباب

واسمه سالم إلى فيينا، وقال له: «ابلغ الجماعة ان سالم مسافر إلى فيينا لضرب الكنيس». ولم يكن خليل ليعلم بأن «الموساد» هي التي اقترحت الهدف، ولتأكيد الخبر ارسل طارق البرقية التالية: «أرجو ارسال ٣٣ بدلة زرقاء تاريخ كذا (ذكر اليوم الذي سافر فيه سالم) كما أرجو ارسال عينة واحدة، وتفسير هذه البرقية كالتالي: ٣٣ تعني فيينا، زرقاء: كنيس، التاريخ: تاريخ السفر، العينة واحدة: المنفذ واحد.

وبعد اربعة ايام عاد سالم بعد ان نفذ عملية ناجحة، فقد فجر الكنيس بمادة «تي. أن. تي» وبعد ان تأكد من الانفجار عاد إلى بيروت وكان في استقباله في المطار - كالعادة - خليل وطارق. فقال له خليل: «برافو.. ان شاء الله تنفذ عملية اكبر في المستقبل. اذهب الآن لترتاح».

وبعد ان اوصلا سالم كان خليل منفعلاً وقال لطارق:

- ما هذا؟ يبدو ان الجماعة لم يفعلوا شيئاً.

قال طارق: ولماذا انت غاضب؟

قال خليل:

- لأنهم لم يقبضوا على سالم، وهذه العملية ثمنها فلوس. لماذا لم يقبضوا عليه؟!

لم يكن النقيب خليل سعيدا على الاطلاق لأن العملية نجحت، ولأنه حسب اعتقاده خسر ثمن العملية. فلو فشلت لقبض الثمن.

بعد هذه العملية بفترة قصيرة سافر طارق إلى فرنسا ونزل في احد الفنادق واتصل بالسفارة الاسرائيلية في باريس. . وبعد ساعات اتصل به ضابط «الموساد» زكي مرحباً به كالعادة: «اهلا بشيخ المشايخ، كيف الصحة والأهل؟ لا تقل شيئاً. غدا نلتقي في السفارة الساعة الرابعة بعد الظهر».

استقبله زكي في السفارة بحرارة وحفاوة ثم اخذ الفتى يتحدث عن عملية فيينا، وانه ارسل اليه برقية بتاريخ تنفيذها واسم المنفذ مع صورة عن جواز سفر سالم، فقال زكي «لقد قمت بعمل عظيم يا شيخ المشايخ». فقال طارق: «ولكن لماذا لم تقبضوا عليه؟» قال زكي وهو يبتسم: «لقد وصلت البرقية الثانية متأخرة. . . ولكن ستكون لدينا وسيلة اتصال اسرع في المستقبل».

تناول زكي من مكتبه كاميرا. . فارتعش الفتى الذي اصبحت لديه حساسية من التصوير والصور فقال له: «ماذا تريد ان تفعل؟» قال زكي: «أريد ان اخذ لك صورة واحدة فقط». فرد طارق منفعلاً: لماذا؟ قال زكي: «لا تخف فالمسألة بسيطة». كبس على الزر ليأخذ صورة عادية، وقال: «غدا نلتقي في مطار اورلي الساعة الرابعة بعد الظهر، وتكون قد احضرت كل ثيابك، دهش الفتى من هذا الطلب الغريب، فقال: «لماذا؟» فربت زكي على كتفه وقال: «لأنك غدا ستسافر إلى تل ابيب يا شيخ المشايخ»!

الفصل السادس

«الموساد» تفشل خطة لاغتيال السادات

لم ينـم طارق في تلك الـليلة. وهـو يفـكـر في كل الاحتمالات. ما الذي يريدونه منه في تل ابيب. وها هو معهم هنـا يقـدم لهم كل ما يريدون؟ ترى هل يريدون تصفيته؟ الا يستـطيعـون تصفيتـه هنـا؟ واذا لم يكن هذا قصدهم. فماذا سيفعلون في جواز سفره؟ هل سيختمونه بالخاتم الاسرائيلي. وهو خاتم يكفل له الموت المحقق؟ خفق قلبه وهو ينتظر ضابط «الموساد» في تمام الساعة الرابعة بعد الظهر في مطار اورلي، إذا بعد ساعات سيكون في «عرين الأسد». ولطالما سمع عن فلسطين السليبة ترى كيف هي؟ وكيف ارضها ودورها ومبانيها وكيف تعيش في ظل اليهود؟ وقبل ان يسترسل في الافكار ربت زكي على كتفه وهو يناوله جواز سفر جديد، ما ان فتحه حتى وجد فيه صورته واسمه وكل التفاصيل الخاصة به حقيقية مائة في المائة، ما عدا المهنة، اذ كتب في مقابلها «مستشار في وزارة الزراعة».

في حوالي السـاعـة السادسة مساء اقلعت طائرة «العال»

وعلى متنها هذا الطائر الغريب، الذي بدا قلبه يهبط وهي تنحدر تدريجياً بعد عدة ساعات في اتجاه مدرج المطار في اللد، وحين توقفت الطائرة امره زكي بأن لا يتحرك من مكانه حتى يخرج الجميع. وما ان هبطا السلم حتى وجدا سيارة خاصة في انتظارهما، دهش لسيطرة «الموساد» في اسرائيل ولم يفكر ان اسرائيل تعيش هاجس الأمن والخوف باستمرار. وانها دولة يملكها جيش وليست دولة تملك جيشاً. فكل شيء في الكيان الصهيوني مسخر لخدمة الجيش والمخابرات وأجهزة الأمن المختلفة.

في السيارة بدأ يفكر في أسباب احضاره إلى تل أبيب. وهذه الأسباب بالطبع عديدة، اولها توريطه وتوثيق هذا التوريط بجواز سفر وزيارة لتل أبيب، وثانيها مسألة واردة. وكل عملائها يخضعون حتى آخر يوم في خدمتهم للمراقبة والاختبار. وهناك دائماً خطتان في بدء التعامل مع المخبرين والعملاء في دفتر «الموساد» الأول حول طريقة عمله والاهداف المرجوة من وراء تجنيده والثانية كيفية التخلص منه في أي وقت، فكثيراً ما تكون مكافأة نهاية الخدمة في «الموساد» حادثاً قاتلاً أو رصاصة مجهولة. فحين يعرف العميل اشياء كثيرة وتقل قيمة عمله يصبح مكلفاً اكثر من اللازم وخطيراً في الوقت نفسه، وبالنسبة إلى «شيخ المشايخ» كانت المسألة لا تزال في البداية والهدف من تجنيده لم يبدأ العمل الجدي فيه بعد.

امـــام بنـاية من ثلاث طوابق في شمـال تل ابيب توقفت السيارة وتـرجـل منها طارق وزكي برفقة السائق «ميكي» حيث دلفوا جميعاً إلى إحدى الشقق في الطابق الأول.

اغتيال السادات

استحم طارق وتناول العشاء مع رفيقيه، لينصرف السائق فيما بعد بينما بات زكي وطارق في الشقة حتى الصباح.

في الصباح شغل زكي الهاتف وهو يتحدث مع زوجته في لندن يطمئنها ويطمئن عليها وعلى الاولاد ثم اتصل بصديقته في تل ابيب وحـادثها مطولا، ثم تكلم مع اهله في صفد قبل ان يتناولا الافطار.

في حوالي الســاعـة العاشرة دق الجرس فقفز زكي يفتح الباب ليدخل منه رجل يحمل معه حقيبة وراديو صغيراً وضعهما على الطاولة دون ان يفهم طارق أي شيء، إلى ان قال له زكي: ستتعلم طريقة الارسال باللاسلكي».

تناول المدرب ورقة بيضاء وقلما قدمهما إلى طارق طالباً منه ان يكتب في الورقة اسمه وعنوانه وعمره ومقر عمله واقامته وكـل تفاصيل حياته. دهش طارق للطلب الغريب وشرع في الكتابة. لكن زكي نهره واخذه إلى الغرفة المجاورة ووبخه على سرعة استجابته لكل ما يطلب منه، ثم أمره بأن لا يفصح لأي

انسان عن أي شيء مهما كان، لأن هذا المدرب قد يقع في يوم من الأيام ولن يتحمل التعذيب، وعندئذ سيقول كل ما عنده. «فلا تقل شيئاً لأي مخلوق قبل ان تأخذ اذناً مني». وعاد طارق إلى المدرب وقدم له معلومات وهمية قبل ان يقول له المدرب.

ـ الآن ستتعلم الشيفرة.

لكن طارق كان يعـرف هذه الطريقة من عمله في مكتب السفريات. واستمر التدريب في اليوم الأول لمدة ساعة واحدة. وفي اليوم التالي تعلم كيف يفكك الجهاز وكيف يحلل البرقيات وكيف يرسلهـا، فكـل برقية مكـونـة من عدة مجمـوعات وكل مجموعة تتألف من خمسة حروف، وهناك وقت محدد للارسال. احضر المدرب كتاباً وقال لطارق: خذ دائماً اول حرف من اول سطر والحرف الثاني من السطر الثاني... وهكذا تأخذ حرفاً واحداً فقط من كل سطر واذا لم تكف الحروف تعود إلى السطر الاول من جديد وتأخذ أول حرف من اليسار وتنزل هكذا إلى السطر الثاني والثالث كما في حالة اليمين. واستمر التدريب في اليوم التالي حتى الرابعة بعد الظهر. فلما انتهى قال له زكي: «هل حفظت كل شيء؟» فرد طارق بالايجاب، فقال زكي:

ـ إذن، ستعود هذا اليوم إلى باريس.

فسألة طارق:

ـ وماذا عن اوراقي وجواز سفري؟

ـ لا تقلق، ستجدها امامك في باريس فور خروجك من باب المـطار. ستجد شخصاً ينتظرك هناك ومعه كل ما تريد. ناوله جواز السفر الاسرائيلي وسيعطيك اغراضك ثم تتجه إلى الفندق نفسه الذي كنت تنزل فيه وسوف اتصل بك غدا صباحاً.

تدريب شاق

سار كل شيء في باريس كما اشار زكي الذي كان يتصل به في الصباح طالبا منه ان يتوجه لملاقاته في احد المقاهي، واوصاه ان لا يحادثه حين يراه بل يبتعد على بعد ٢٠ مترا.

لم يتحرك طارق من مقعده حين لمح زكي مقبلاً، وانتظر حتى التقت عيونها وواصل زكي سيره امام المقهى. دفع طارق الحسـاب وتبـع ضابط «المـوسـاد» الـذي كان يحمل في يده صحيفة ما لبث ان القاها في سلة قمامة على الرصيف وهو ينظر بزاوية عينه اليمنى إلى طارق ثم واصل السير، وبعد قليل تناول علبة سجائره فوقعت منه على الارض فانحنى يتناولها وهو يستدير إلى الخلف وظـل يمشي وطـارق يتبعـه حتى وصل امام احد الفنادق ودخلا معا إلى المصعد الذي نقلهما إلى الطابق الرابع. فتح زكي الباب فاذا في الغرفة رجل، قدمه لطارق باسم ديفيد.

بعـد لحـظات نهض ديفيد وأحضر جهاز ارسال لاسلكياً وضعه على الطاولة وقدم رزمة اوراق إلى طارق وهو يقول له:

ـ هل تستطيع اجراء برقية لاسلكية الآن؟
ـ أحاول.

بدأ طارق في العمل تحت عيني ديفيد وزكي. كان ديفيد يوجهه ويزيده تدريباً، ثم اخرج له صورة «بولارويد» لماكينة فرم اللحم، بدأ في داخلها جهاز ارسال مثل الذي امامهم، وقال زكي لطارق: «هذه الماكينة ستأخذها معك إلى بيروت. وكما ترى في الصورة فان الجهاز داخلها ولا يمكن لأي شخص ان يعثـر عليه دون ان يكسـر المـاكينـة، وكمـا تعلم فانهم في المطارات لا يكسـرون شيئاً. في بيروت تقوم باستئجار شقة يفضل ان تكون في منطقة مار الياس لأن الايجار هناك رخيص والمنطقة هادئة نوعاً ما، ويجب ان تكون الشقة في آخر طابق بعيدة عن البنايات العالية. خصوصاً الأعلى من بنايتك واختر هوائياً للجهاز كهوائي تلفزيون ابيض وأسود. اما مواعيد الاتصال فثـابتـة يومي الاربعاء والسبت الساعة ٨,٣٠ بتوقيت بيروت، ارسال الاربعاء يكون هو الاول، وفي يوم السبت تأكيد له واعادة كمـا في ارسـال الاربعاء على الموجة ٥ . ٦و٥ . ٧. اما النداء الخاص بنا وبك فهو «الفا روميو تانجو تو» عبر الاذاعة الاسرائيلية.

وهذه النقطة جديرة بالتوقف عندها للاشارة إلى دور الاذاعة الاسرائيلية المسموعة جيدا في كل الوطن العربي. فبالاضافة

إلى دورها في استخدام الحرب النفسية ضد العرب وطرح نفسها كبـديل من الاذاعـات العربية، تقوم بدور خطير عبر الاتصال بالعمـلاء في الخـارج، والاجهزة الامنية في الثورة الفلسطينية دائبـة على تتبـع النداءات التي تبث اذاعياً من اسرائيل، وقد اصيبت هذه الاجهزة بدهشة بالغة حين رصدت نداءات لعملاء في دور عربية لا تخطر على بال مما يدل على ان اسرائيل لا تستهدف الثورة الفلسطينية وحسب، ولا لبنان وحده أو الاردن أو سوريا أو مصر، فهي تسعى للسيطرة على الوطن العربي كله من المحيط إلى الخليج في طموحها الاستراتيجي لأن تكون «دولة عظمى» ولعـل في ضرب المفاعل النووي العراقي اشارة إلى المخطط الاسرائيلي. بل ان اسرائيل تخطط لضرب المفاعل النووي الباكستاني.

ناول زكي طارق مبلغ ٨ الاف دولار، كما اعطاه ماكينة فرم اللحم التي تحتوي على جهاز اللاسلكي في قاعدتها، وقال له: «هذه دفعة على الحساب وسنحول لك ما تحتاج من دولارات على حسابك في بيروت». كذلك اعطاه ١٥ بدلة رجالية ثمن الواحدة ٧٥ دولاراً كغطاء يبرر به سفره، وقبل ان يسافر الفتى اوصاه ضابط «الموساد» بأن لا يطلع خليل على الجهاز ولا يخبره بأي شيء عنـه. «ثم لا تأت إلى اوروبا في المرة المقبلة الا والنقيب خليل معك».

لدى وصوله إلى بيروت بدأ طارق رحلة جديدة من العمل. بحث عن شقة تحمل المواصفات المطلوبة حتى وجد واحدة مثالية، وبسرعة انكب على العمل، ركب الجهاز والهوائي وارسل البرقية التالية إلى اسرائيل: «الفا روميو تانجو تو بخير كل شيئاً على ما يرام». وجاء الرد: «تهانينا، استلمنا جيد والهوائي ممتاز، اخبرنا بكل جديد».

«اسرائيل» واغتيال السادات

كانت المخابرات الفلسطينية تقوم برصد هذه البرقيات المرسلة بالراديو من اسرائيل على التردد ذاته والترددات الاخرى المستخدمة فوجدت نداءات متعددة ومختلفة فقد استفادت «الموساد» من اضطراب الوضع في لبنان وازدواجية العمل في المنظمات الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية وانعدام التنسيق الفعلي بينها على مستوى الاجهزة الامنية وفي هذه الاجواء زرعت «الموساد» مجموعة كبيرة من العملاء في اكثر من موقع تديرهم باللاسلكي وهكذا بدأت الرسائل تصل تباعاً تسأل، ماذا حصل في مكتب أبوعلي؟ وأين اختفى احمد الحلاق؟ وما الجديد في «الصاعقة»؟ وهل هناك عمليات جديدة لـ «الصاعقة» داخل أو خارج (اسرائيل)؟».

كان النقيب خليل يجيب عن كل هذه الاسئلة ويستغرب في الوقت نفسه سرعة وصول الاسئلة وايصال الاجوبة فسأل

طارق «شو القصة» فقال له «هناك شخص يأتي في الاسبوع مرة إلى بيروت يجمع البريد».

في تلك الفترة كانت «نسور الثورة» تخطط لاغتيال الرئيس المصري السابق انور السادات، وتم وضع الخطة فعلاً، إذ انيطت بالنقيب خليل مهمة توصيل عنصرين إلى القاهرة. ومهمة ادخال الاسلحة إلى مصر بانتظار الفريق الملكف بالاغتيال. وعلى الاثر قامت اسرائيل بابلاغ السادات بالعملية من خلال السفير الامريكي في تل ابيب وزودته باسمي العنصرين المكلفين بادخال الاسلحة وأرقام جوازي السفر وموعد الوصول إلى مصر. وما ان حط الرجلان في مطار القاهرة حتى كانت المخابرات المصرية في استقبالهما فاعتقلتهما على الفور في اوائل يوليو (تموز) ١٩٧٩.

وفي حادثة اخرى خططت «نسور الثورة» لعملية ضد السفارة المصرية في انقرة وكلفت فريقاً من اربعة عناصر لتنفيذها، وقام خليل بتصوير جوازات السفر والتأشيرات، ثم ارسل طارق باللاسلكي برقية مفصلة بالعملية وموعدها والقائمين بها، الا ان «الموساد» اخفت هذه المرة كل شيء عن المصريين ولم تبلغهم بهدف الايقاع بين مصر والفلسطينيين بشكل عام وبين مصر وجهة عربية تدعم «الصاعقة». فكانت النتيجة ان وصلت العناصر الى انقره واحتلوا السفارة المصرية في

١٣/٧/١٩٧٩ بعد تبادل النار مع حرس السفارة ورجال الامن الاتـراك ممـا اسفـر عن مصرع رجلي بوليس تركيين، قبل ان تحتجز المجموعة السفير المصري ومعه ٢٠ شخصاً من موظفي السفارة كرهائن سيتم قتلهم إذا لم تنفذ مطالب الخاطفين، وهي كالتالي :

ـ الغاء اتفاقيات كامب دايفيد بين مصر وامريكا و (اسرائيل) .
ـ الاعتراف بشرعية الدولة الفلسطينية .
ـ ضمان مستقبل الشعب الفلسطيني .

ـ الافراج عن المعتلقين الفلسطينيين في مصر (وهما العنصران اللذان قبضت عليهما المخابرات المصرية بسبب دور النقيب خليل وطارق) .

ـ تخصيص طائـرة لنقل الفدائيين والرهائن إلى بلد عربي من اختيار الخاطفين بعد اخلاء مطار انقره من كل الطائرات باستثناء الطائرة المخصصة لذلك . ثم حددوا موعداً نهائياً لتلبية مطالبهم في تمام الساعة الثانية والنصف بعد الظهر مهددين بقتل رهينة كل خمس دقائق .

ادركت اسرائيل ان السادات رجل حاد المزاج، فالمقاطعة العربية لمصر زادته اندفاعاً باتجاه (اسرائيل) وامريكا وهو يتخذ قراراتـه بنـاء على مشـاعـره الشخصية وحالة مزاجه في لحظة القـرار، لكن القـائـد الفلسـطيني ياسـر عرفـات ادرك الابعاد

السياسية للعملية فقام على الفور بارسال وفد أمني فلسطيني إلى انقره لتفويت الفرصة على (اسرائيل).

وقـد صرح مصـطفى خليل رئيس وزراء مصر انذاك بعد اطلاعه على مطالب الخاطفين بأن مصر تحمل مسؤولية العملية لمنـظمـة التحـرير الفلسـطينية، وأي ديبلومـاسي يتعـرض له الخـاطفـون بسوء يدفع مصر الى اتخاذ خطوات انتقامية ضد منظمة التحرير، أما منظمة التحرير فنفت كل علاقة لها بالعملية وقام الاتراك بابلاغ مصر ان الخاطفين ينتمون إلى جناح «نسور الثورة» التابع لـ «الصاعقة». عندها قامت اسرائيل بالسعي إلى تنفيذ مخططها فعرضت على مصر خطة لاغتيال زهير محسن لاقت صدى كبيراً لدى السادات نفسه والقيام بعمليات ضد مصر.

الا ان نتيجة العملية جاءت مفاجئة لاسرائيل، فقد استسلم الخـاطفـون بعـد مبـاحثـات مضنية قام بهـا مبعـوث عرفـات «ابوفراس» كما اسفرت عن فتح مكتب رسمي لمنظمة التحرير الفلسطينية في انقره، مما شكل انتصاراً سياسياً لعرفات وتراجعاً لـ «نسور الثورة» و «الصاعقة».

لم يفهم النقيب خليل ولا طارق ما جرى في تركيا انذاك، ولم يدركا لماذا سمحت اسرائيل بنجاح العملية. ولم ينتبها إلى مغـزى الـرسـائـل البـرقية التي كانت تصل إلى طارق تطالب

بمعلومات تفصيلية عن زهير محسن لان ازاحته تعني الكثير لإسرائيل داخلياً وخارجياً.

ففي امريكا واوروبا على الصعيدين الرسمي والشعبي ستظهر اسرائيل انها الدولة الوحيدة القادرة على وضع حد لـ «الارهاب» ثم انها تقدم خدمة للسادات وتظهر امام شعبها في الداخل بأنها جادة وقادرة على الوصول إلى رؤوس الثورة الفلسطينية. كذلك يشكل اغتيال زهير محسن نظراً لتركيبة «الصاعقة» نهاية هذه المنظمة وانهيارها وازاحة شخص من اكبر المناهضين لاتفاقيات كامب دايفيد وبالاضافة إلى زهير محسن خططت اسرائيل ايضا لاغتيال احمد الحلاق بصفته مسؤولا عن العمليات الخارجية لـ «الصاعقة» فانهالت البرقيات على «شيخ المشايخ» تطالب دائماً بأية معلومات عن حراسة ومكان وجوده وسفر أي من الرجلين: زهير محسن واحمد الحلاق. وكانت حصيلة المعلومات تؤكد لاسرائيل صعوبة اغتيال زهير محسن في بيروت لكنها درست الخطة جيدا وتوصلت إلى ان أي عملية ضده شخصياً ستكون كبرى والافضل توسيع اهدافها لتشكل رؤوسا أخرى في منظمة التحرير مثل أبوعمار وأبوجهاد وأبوالهول.

واستغرب «شيخ المشايخ» استلامه لبرقية تسأله عن «بادرماينهوف» واعضائها في بيروت والقواعد البحرية وقواعد

«فتح» في منطقة الاوزاعي وخلدة والدامور وأبوالاسود والسعديات.

لكن لا طارق تردد ولا النقيب خليل استعصى عليه الحصول على المعلومات التي ارسلت إلى (اسرائيل) بسرعة وانتظام.

الفصل السابع

اغتيال زهير محسن

بعد عملية السفارة المصرية في انقرة جرت اتصالات حثيثة بين «الموساد» ومخابرات دولة . . . للتنسيق بينهما بهدف اغتيال زهير محسن .

في اوائـــل يوليو (تمــوز) عام ١٩٧٩ ارســـل طارق إلى «الموساد» البرقية التالية : سيسافر زهير محسن إلى منروفيا ، وفي ٢٣ يوليو (تموز) سيكون في مدينة نيس الفرنسية» .

اختير زهير محسن رئيساً للوفد الفلسطيني في اجتماعات مؤتمـر الـوحـدة الافـريقية الـذي انعقد في العاصمة الليبيرية منروفيا ، لمناقشة الوضع في جنوب افريقيا والصحراء والشرق الاوسط وحـرب اوغنـدا وتشـاد وقمـة دول عدم الانحياز التي عقدت في ما بعد . ولعل أهم ما في مؤتمر منروفيا انذاك حضور الســادات له ، فقـد كان بحاجة ماسة إلى دعم افريقيا له نظراً للمقـاطعـة التي يعيشهـا نظامه مع الدول العربية . وقد وصل الســادات إلى منـروفيا وسط حراسـة مشـددة جداً لم تشهدها العاصمة الليبيرية في تاريخها . وكان رجال المخابرات المصرية

قد سبقوا السادات إلى هناك، اذ وصلت في السابع عشر من تمـوز (يوليو) ٣ طائـرات عسكـرية مصرية محملة بهم، وكان السادات يدرك جيداً انه سيواجه حالة عداء من بعض الرؤساء الحاضرين الذين يناهضون اتفاقيات كامب دايفيد.

كانت مهمـة رجـال المخـابـرات المصـرية تنحصـر في اتجاهين: حماية الرئيس السادات ومراقبة الجهات المناهضة له.

في افتتاح القمة، اشار الرئيس وليام تولبار في خطابه إلى ان افـريقا لا يمكنها ان تقبل في أي حال من الاحوال بوجود اسـرائيل فوق الاراضي العربية المحتلة بقوة السلاح. كذلك اشـار الـرئيس الحـالي موسى تراوري إلى الوضع المقلق في منطقة الشرق الاوسط وصرح بأن اتفاقيات كامب دايفيد الجزئية هي السبب في زيادة حالة التوتر.

في اليوم التالي للمؤتمر، وعندما نهض الرئيس السادات لالقاء خطابه، خرج معظم رؤساء الوفود من القاعة، كرؤساء وفد تونس والجـزائـر والمغـرب وليبيا وموريتانيا والصومال وجيبوتي ومدغشقر وبنين وموازمبيق وانجولا، لتنتهي القمة صباح الحادي والعشرين من شهر يوليو (تموز) في جود معاد للسادات واتفاقية الصلح المنفـردة مع (اسـرائيل) اذ صدر قرار عن القمـة يندد بالمعاهدات المنفصلة واعتبرها عقبة تمنع الشعب الفلسطيني من تحقيق طمـوحـاته الشرعية في تقرير مصيره واستعادة وطنه

بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية، قائده الشرعي والوحيد. كما استطاعت القمة الافريقية تلك عزل كامب دايفيد تماماً في افريقيا. وواجه السادات عزلة خانقة. فهو لم يكن قد زار أية دولة سوى الولايات المتحدة واسرائيل.

اما زهير محسن فقد حقق لمنظمة التحرير انتصاراً سياسياً كبيراً في افريقيا على هذا الصعيد. ولم يكن يدري ان هناك رقابة خفية تحصي عليه انفاسه، علما بأنه شعر بها، لكنه عزاها إلى الاحتياطات الامنية التي اتخذتها ليبيريا لحماية الوفود. وإلى الحماية التي يوفرها جهاز الامن الفلسطيني المرافق له.

مصيدة كان

من منروفيا توجه زهير محسن برفقة زوجته إلى مدينة كان في فرنسا مباشرة حيث استأجر هناك شقة في بناية «جري دالبيون» في حي لاكروازيت باسم مستعار، فقد كان ينوي الاقامة مدة شهر كامل. وصار يقضي النهار مع زوجته علية الشاهد في الاسواق والمتنزهات وزيارة الاماكن السياحية في تلك المدينة الناعمة.

ومساء الثلاثاء ٢٤ يوليو (تموز) خرج زهير محسن من الشقة وحده ليتعرف على ليل هذه المدينة. وطالت سهرته حتى الفجر فعاد إلى «جري دالبيون» وضغط على جرس الشقة، فظهرت

لزوجته صورته على شاشة الجهاز المتصل بجرس الباب ففتحت له ليصعد اليها، وما كاد يطرق باب الشقة حتى ظهر شخص كان مختبئاً على درج العمارة. التفت اليه زهير بسرعة فاطلق الشخص النار على زعيم «الصاعقة» لتخترق الرصاصة القاتلة جبينه، منفجرة في رأسه. فسقط على الفور قتيلاً امام عيني زوجته وصراخها، لتكون هي الشاهدة الوحيدة على عملية اغتيال زوجها.

اما بواب العمارة فقد شاهد شخصين احدهما ملامحه اوروبية والآخر اسمر البشرة، ينطلقان في سيارة كانت متوقفة على مقربة من العمارة. وكانت علية قد وصفت الشخصين للشرطة الفرنسية التي توصلت إلى ان القاتل الماني الجنسية يعمل قاتلاً محترفاً اما السائق الذي كان يرافقه. . . . الجنسية، وكانا قد توجها قبل يومين من حادثة الاغتيال إلى شقة زهير محسن التي استأجرها باسم صديقه السفير اللبناني السابق في بلجيكا بحجة البحث عن عمل، فتعرفت عليهما الخادمة من صورهما.

وحملت سورية اسرائيل مسؤولية اغتيال زهير محسن في بيان رسمي اما ياسر عرفات فقد اشار بعد تشكيله لجنة تحقيق ضمت كلا من «أبوالزعيم» وماجد محسن ومحمد دغمان و «أبوالسعود» إلى ضلوع مخابرات دولة عربية في اغتيال زعيم «الصاعقة» الذي شيعت عشرات الالوف جنازته من «مستشفى

المواساة» في دمشق إلى «مقبرة الشهداء»، في مخيم اليرموك، وكان الرئيس حافظ الاسد في مقدمة المشيعين.

قبل الاغتيال

قبل تنفيذ العملية كانت «الموساد» تلح على طارق وخليل بالسفر خارج بيروت إلى اية عاصمة اوروبية، فاختارا الامارات، لكن خليل طلب ان يكون السفر إلى قبرص فقط لأن الدانمارك غالية وبعيدة، وقد يشك فيه رؤساؤه، وبالرغم من ان طارق اعطاه الف ليرة لبنانية الا ان خليل طلب من «أبوعلي» ٥٠٠ ليرة قائلاً له انه يريد ان يرتاح عدة ايام في قبرص.

سافر خليل إلى قبرص بمفرده، ثم لحق به طارق في ٢٠ يوليو (تموز) قبل حادثة الاغتيال بخمسة ايام فقط، فقد ارادت «الموساد» ان تؤكد نجاح العملية وتبعد هذين الاثنين عن بيروت وان تورطهما اكثر.

في ردهة الصالون في فندق «كينيدي» في نيقوسيا التقى طارق بصديقه النقيب خليل فتحادثا وشربا معا. ثم نهض طارق واتصل بالسفارة الاسرائيلية حيث ترك خبرا لضابط «الموساد» زكي وعاد الى الحديث مع النقيب خليل:

ـ هل تعرف يا خليل مع اي مخابرات تعمل؟

ورد خليل :
ـ طبعاً اعرف مع مخابرات حلف الاطلسي .
فقال طارق وهو يبتسم :
ـ لا .
هز خليل كتفيه وهو يقول :
ـ لا يهم اي مخابرات والسلام .
انزعج طارق من برودة صديقه وعدم مبالاته فقال :
ـ انك تعمل مع المخابرات الاسرائيلية .

ولاحظ طارق ان خليل لم يكترث ولم يرف له جفن ، انهم يدفعون باستمرار ويدفعون جيدا .

في المساء اتصل زكي بطارق مرحباً وسائلاً :
ـ هل احضرت رفيقنا معك؟
ـ نعم . انه في الحجرة المجاورة لحجرتي ، وهو يجلس الآن بجواري .
ـ برافو عليك ، هل استطيع ان اتحدث معه؟

قدم طارق السماعة إلى خليل قائلاً :
ـ انه يريد ان يتحدث معك .
ـ من هو؟
ـ جورج .

كانت الارراق دائماً تصل إلى خليل موقعة باسم «جورج»

فتناول السماعة وهتف.

ـ الو.

ـ اهلا بالاخ خليل. ان شاء الله مرتاح في نيقوسيا؟

ورد خليل بشكل معتاد.

ـ الحمد لله،

ـ غدا سنراك اظن الساعة الخامسة؟

ـ ان شاء الله.

في صباح اليوم التالي سمع طارق وخليل خلال الاذاعة خبر اغتيال زهير محسن في فرنسا في الوقت الذي كانا يتجهان لمقابلة ضابط «الموساد». كان خليل يخشى في قرارة نفسه ان ينتقم منه الاسرائيليون لانه جنديا حارب في احدى الجبهات العربية عام ١٩٧٣ ابان حرب اكتوبر (تشرين الاول)، فقال لطارق:

ـ اسمع يا طارق: اذا سجنوني أو اعتقلوني قم بابلاغ منظمة التحرير الفلسطينية وقل لهم انهم خطفوني بالقوة. واياك ان تتفوه بأي شيئاً عما قمنا به.

لكن زكي سرعان ما اراح بال خليل اذ استقبله بترحاب كبير وهو يقول:

ـ يا عيب الشوم يا حضرة الضابط، هل نحن بلا مبدأ؟ انت ضابط وانا ضابط مثلك، ونحن نحترم الزمالة ولا ننتقم من

افـراد. نحن عداوتنا مع دول وننتقم من دول. اما انت فمعنا ونحن في خندق واحد.

لم يكن خليل يتوقع مثل هذا الاستقبال فانتهز الفرصة بعد دقائق قليلة ليقول لزكي:

ـ انـا مريض جدا، واعـاني من امراض كثيرة في بطني واذني واماكن اخرى. هل تعالجونني؟

ـ بس هيك؟ بسيطة، في «مستشفى هداسا» سيخلقونك من جديد.

ثم دار حديث حول السفر إلى تل ابيل والطب في اسرائيل وما إلى ذلك قبل ان يتذكر خليل مصرع زهير محسن فقال:

ـ ولو! كيف تقتلون زهير محسن ؟ خلاص قتلتوه ومات؟!

سؤال فيه الكثير من السذاجة والكثير من الغباء، علما بأن النقيب خليل لم يكن غبياً إلى هذا الحد، ولكنه كان بحاجة نفسية لالقاء مسؤولية القتل على جهة اخرى بعيدا عنه. وكان يتمنى لو انه يسمع جواباً بالايجاب، لكن زكي قال باستخفاف:

ـ نحن لم نقتل زهير محسن. لقد قتل زهير لانخراطه في امور مادية ودنيئة. ولو ان كل قيادات الفلسطينيين مثل زهير محسن لكننـا نحن حمينـاهم. وانت تعرف اننا حين نقتل واحدا من زعماء المنظمات فأننا ننشر الخبر ونذيعه على العالم كله.

وبالرغم من كل الاوصاف السيئة والاعمال المشينة التي

نسبها ضابط «الموساد» إلى الزعيم الفلسطيني زهير محسن، الا ان الثلاثة كانوا يعرفون في قرارة انفسهم انهم مسؤولون عن اغتياله.

وفجأة توجه زكي إلى خليل بالقول:

ـ انني افهم دوافع طارق للعمل معنا، ولكنني لم افهم إلى الآن كيف وافقت انت على العمل معنا بهذه السرعة؟

فقال خليل:

ـ في الواقع، لو انكم طلبتم مني ان اعمل ضد بلدي لترددت كثيرا... ! ولكنني وافقت على العمل معكم لأن سياسة «الصاعقة» لا تعجبني، بالاضافة إلى صعوبة حصولي على منصب كبير فيها.

في اليوم التالي طلب زكي من طارق ان يدفع اجرة الفندق عنه وعن خليل ويحزما امتعتهما بعد ان يقول لموظف الاستقبال انهما ذاهبان إلى لارنكا، على ان يأتي بجواز سفره وجواز سفر خليل وكل الاوراق اللازمة إلى مكتبه في السفارة الساعة الخامسة مساء وان لا يحضر خليل نفسه إلى السفارة، خذ جواز سفره ودعه ينتظر في مكان عام».

نفذ طارق الاوامر بحذافيرها في اليوم التالي، وترك خليل في محل «فليبر» ليمر على زكي في الموعد المحدد الذي اخذ منه جوازي السفر والاوراق التي طلبها. ثم ناول طارق جواز

سفـره الاسرائيلي وجواز سفر اسرائيلياً جديدا لخليل وتذكرتي سفر على احدى البواخر المنطلقة من مدينة ليماسول.

عرج طاق على خليل في محـل «الفليبـر» وقال له: «هيا بنـا». خرجـا من المحـل واوقف طارق سيارة أجره طلب من سائقها ان يوصلهما إلى لارنكا، فوافق السائق الذي انطلق بهما بسرعة فائقة. وفي منتصف الطريق تقريباً طلب من السائق ان يأخذ طريق ليماسول ولما استفسر السائق عن السبب قال طارق:

ـ اعتقد ان ليماسول اجمل وهناك الكثير من السائحات على الشواطىء.

نوم عميق

في ليمـاسـول نزلا امـام احـد الفنادق ونقد طارق سائق التاكسي اجرته، وانتظرا حتى غاب عن عينهما، ثم استقلا سيارة اجرة واتجها إلى الميناء. في الطريق سأل طارق خليل:

ـ هل يصيبك دوار البحر؟

فرد خليل:

ـ لا، طبعاً، شو مفكرني انا ضابط بحرية اساسا؟

ابتسم طارق وهو يقول:

ـ عظيم اذن.

عند حاجز الامن، قال طارق لضابط التفتيش وهو يسلمه جوازي سفرهما «صديقي لا يجيد غير اللغة العربية». هز الضابط رأسه بلا اكتراث وسمح لهما بالدخول. فجلسا قرابة الساعة على الرصيف امام الباخرة قبل ان يعبر زكي ويصعد إلى ظهر الباخرة مشير لهما بأن يتبعاه وهو يحمل جواز سفره بيده. فهم طارق الاشارة وتقدم من رجل الامن على مدخل الباخرة حيث قدم له جوازي السفر فأدخلهما العسكري ليستلمهما زكي حيث اوصلهما إلى احدى الغرف قائلاً:

ـ هذه «الكابين» لكما.

وانصرف زكي ليعود بعد قليل حاملاً مشروبا وتسالي وسجائر، وجلس يتحدث معهما موجهاً اهتمامه إلى خليل.

تحدثوا عن البحر وحالة خليل المرضية، مما جعل خليل يستريح نفسياً حين قال له زكي: «سوف نعالجك في «مستشفى هداسا» على يد امهر الاطباء في العالم لتعود شبابا من جديد».

بعد فترة نهض زكي مودعاً وهو يقول:

ـ لا تخرجا من «الكابين» اطلاقاً فهناك على الباخرة طالبان من الضفة الغربية استقلا المركب من ايطاليا.

فما كان من خليل الا ان شرع في النوم كأنه في بيته، ليبدأ بعد دقائق عملية شخير مزعجة لم يستطع طارق ان يتحملها فخرج من «الكابين» في تلك الساعة المتأخرة من الليل، وظل

يتمشى ويراقب البحر حتى جاء عمال النظافة في الصباح فساعدهم، قبل ان يوقظ خليل في تمام الساعة السابعة حين بدأ الشاطىء الفلسطيني من بعيد. خرج خليل من «الكابين» وتطلع حوله في البحر فوجد زورقين حربيين اسرائيليين يرافقان الباخرة التي بدأت تدخل في ميناء حيفا.

وبعد ان نزل جميع الركاب، نزل الثلاثة من الباخرة حيث كانت هناك سيارة في انتظارهم. طلب زكي من سائقها واسمه ديفيد ان ينطلق بهم إلى تل ابيب. وبعد دقائق من انطلاق السيارة قال زكي وهو يشير بيده:

ـ هنا حصلت عملية الاوتوبيس التي قادتها الـ. . . دلال المغربي.

يا للمفارقة! الابطال مروا من هنا بدمائهم وها هم الخونة أيضاً يمرون. ورغم ان الملاحظة اثارت في الاثنين حب الاستطلاع الا انهما مسحا وجهيهما بشكل عفوي يشوبه الارتباك، وكأن الارض قد بصقت عليهما.

اتجهت السيارة ناحية «الكانتري كلوب» حيث نزل كل منهم في «كابين» خاص واوصاهما زكي ان لا يفتحا الباب لأي انسان سوى السائق ديفيد أو ضابط «الموساد» الآخر سامي. ثم انصرف ليعود في الرابعة والنصف بعد الظهر يرافقه ضابطان من «الموساد» فجلسوا جميعاً في حجرة الضابط خليل الذي طلب

منـه زكي ان يحـدثهم عن نفسه وعائلته منذ البداية ومنذ كان طفـلاً. فبدأ يحكي لهم وهو يتأتىء، فضحك طارق مما اثار خليل فصرخ زكي في وجه طارق: «اذهب إلى حجرتك ودعنا نعمـل». فنهض طارق وغـادرهم ليواصل الضابط خليل سرد حكايته منذ البداية.



الفصل الثامن

سقوط النقيب خليل

شكـل خليل صيدا ثميناً لـ «المـوسـاد». فها هو ضابط «الصاعقة» ومسؤول الامن فيها عن منطقة الحمراء في بيروت، يجلس مع ضابط «الموساد» في تل ابيب، يعصرونه عصرا، ولم يشأ زكي ان يضع أي قيد نفسي على خليل فمر بطارق في غرفته وقال له:

ـ نحن مشغولون هذه الليلة مع خليل لكنني سأمر بك في الصباح.

كانت ليلة طويلة على خليل، لذلك حين مر زكي بطارق في الصباح. كانت الساعة حوالي العاشرة. تناولا الافطار معا واعطاه صحيفة «القدس» كي يتسلى بقرائتها بينما ذهب زكي إلى غرفة خليل.

وبعد ساعة، مل طارق من الجلوس وحيدا، وكان قد انهى قراءة الجـريدة فتـوجه إلى حجرة خليل ليرى هناك زكي ومعه ضابط آخـر من «الموساد» وخليل متحلقين حول مجموعة من

الخرائط لسورية ولبنان واسرائيل لكن طارق لم يلبث طويلاً، فقد نهض زكي وتأبط ذراعه قائلاً:

ـ هيا بنا ودعهم يكملون عملهم.

وادرك زكي ان طارق قد مل من البقاء وحيدا فقال له:

ـ سأعود بعد خمس دقائق ومعي خبير في استعمال الكربون السري ليدربك على الكتابة به فتكتمل وسائل اتصالاتنا تماماً.

وتجدر الاشارة هنا إلى ان مجموعة ضباط «الموساد» التي قابلت خليل وطارق، هي المجموعة المتخصصة في شؤون «الصاعقة». اذ ان «الموساد» تتكون من خلايا تصب كلها في شبكة واحدة. فمنذ ظهور المنظمات الفلسطينية، تم تخصيص مجموعات من خيرة ضباط «الموساد» لكل واحدة من المنظمات، تتابع نشاطاتها وتدرس افكارها وادبياتها وتتجسس على عناصرها وقيادييها وتحتفظ بكل ما يصدر عنها حتى اصبح ضباط «الموساد» المتخصصون كأنهم اعضاء في المنظمات الفلسطينية يفكرون بالطريقة التي فكر فيها عضو التنظيم أو القيادي، ولم يكن خليل بالطبع على علم بما يدور في «الصاعقة»، فقط ولكنه كان يعلم إلى حد ما اشياء عن المنظمات الاخرى كونه ضابط أمن اولاً وثانياً لعلاقاته مع عدد من اعضاء المنظمات الاخرى. وقد كان اهتمام «الموساد» به في تلك الفترة نابعاً من تخطيط اسرائيل لاجتياح لبنان، فهي

بحاجة لتجميع كل ما يمكن جمعه من معلومات، وبحاجة ايضاً إلى تأليب الشعب اللبناني على الفلسطينيين بالطلب من عملائها - ومنهم خليل - القيام باعمال استفزازية للمواطنين اللبنانيين، وافتعال حوادث عنف واعتداءات ضد الشعب اللبناني والممتلكات الخاصة. حتى اصبح خليل مع غيره، بعد عودته من تل ابيب مثالاً للبلطجة والرشوة والفساد والتخريب وكانت الناس في لبنان تعرف هؤلاء الاشخاص جيدا، لكنهم لم يفكروا يوماً بأنهم عملاء لاسرائيل بل كانوا يعتقدون انهم «مسنودون» من قياداتهم وان المسألة مسألة هرم او صندوق تفاح لا يقتصر التعفن على بضع تفاحات فقط. علما بأن اعمال البلطجة والتخريب تلك ما كانت لتخدم الا المصلحة الاسرائيلية. لكن احدا في تلك الايام لم يتوقف امام نفسه ليطرح عليها هذا السؤال لمصلحة من تتم هذه الاعمال؟ ومن هو المستفيد منها؟

من المؤكد ان هذه الاعمال كانت تسيء اعظم الاساءة إلى المنظمات الفلسطينية وقياداتها، لذلك اقدمت منظمة التحرير في العديد من المناسبات على اعدام مثل هذه العناصر كالحربة.

بعد عصر خليل وتدريبه على الكربون السري والبخار طلب من زكي ان يعود إلى بيروت ويؤجل مسألة العلاج إلى مناسبة ثانية، ذلك انه تخوف اثناء عملية اغتيال زهير محسن،

وهو في الخارج من ان يحوم الشك حوله.

بعد دقائق كان زكي قد أمن لخليل سفره بالجو إلى قبرص، ومن قبرص إلى بيروت على «الميدل ايست» في اليوم التالي، ثم ناوله مبلغ ٢٠٠٠ دولار وهو يقول له: «هذه مكافأة، ولك بذمتنا كل شهر ٢٠٠ دولار». تخلف طارق في تل أبيب مدة يومين حيث اصطحبه زكي إلى ايلات وطاف به على بعض الاماكن السياحية ثم اعطاه مبلغ الف دولار قبل مغادرته اسرائيل إلى بيروت، عبر باريس كما حدث في المرة السابقة.

وجد طارق خليل منهمكا في اعقاب اغتيال زعيم «الصاعقة». ولما سأله ماذا قالوا له في تل ابيب رد بايجاز شديد: لا شيء. مثل العادة فقط. وكانت البرقيات الاسرائيلية تتوالى على بيروت تسأل: هل هناك عمليات خارجية؟ وهل سينتقمون لزهير محسن؟ ومن سيخلفه؟ وهل هناك تغييرات في جهاز الامن؟

في هذه الفترة، تجمعت لدى المخابرات الفلسطينية كمية من المعلومات حول تحركات طارق والنقيب خليل (لم يسمح بذكر المصدر). وعلى الاثر عقد اجتماع في مقر مكافحة التجسس في بيروت حيث جرى نقاش طويل امتد اكثر من جلسة حول المعلومات وطريقة المعالجة والتنفيذ.

ثم اختلى أبومحمد رئيس الفرقة باثنين من ضباط المكافحة

لتقرير كيفية التعامل مع الضابط خليل وطارق، قال الضابط حسين:
ـ أرى ان نقوم باعتقالهما فورا.

وطال النقاش مرة اخرى الا ان أبومحمد حسم الجدل اخيرا بقوله:
ـ قبل اتخاذ اي خطوة حاسمة يجدر بنا ان نعرف كل شيء وكل المعلومات التي وصلت إلى العدو عن طريقهما، وكل ما سيوصلانه حالياً وفي المستقبل.

عميل مزدوج

وضُعت اجهزة تنصت في منزل كل من خليل وطارق. فقد قرر أبومحمد سلفاً التخلص من خليل بالقتل لأن اعتقاله سيؤدي إلى مشاكل مع «الصاعقة» وغير «الصاعقة». اما طارق فقد كان خطة أبومحمد تقضي بتشغيله عميلاً مزدوجاً، اذ ان خليل لا يصلح لهذه المهمة فهو متهور وقليل الاتزان، بعكس طارق الذي هو في الاساس اصل المشكلة وبيت الداء.

وقامت الفرقة باعلام ثلاثة من كبار المسؤولين في «الصاعقة» بعمالة خليل، كما قامت بابلاغ جهاز أمن عربي بمهمة خليل، فتم الاتفاق بين الاطراف الثلاثة على ترك المسألة للمخابرات الفلسطينية تتصرف فيها كما تشاء.

وضع أبومحمد خطة دقيقة للعمل. فهو صاحب خبرة طويلة في العمل السري، وملفه في «الموساد» ضخم ومعروف باسم «الـرجل الزئبق» لصعوبة تثبيته في مكان معين أو محاصرته أو معرفة مكانه، فهو لا يسلك طريقاً واحدا مرتين متتاليتين، ولا يبيت في مكان معين مرتين، وشكله لا يوحي بقدراته ولا يثير الانتباه، وكان قد اعتقل في الماضي في احدى الدول العربية. وحين دخل على العقيد ضابط التحقيق فوجىء هذا الاخير به، فقـد كان يظن انـه سيواجه رجلاً جباراً عنيفاً، ضخم الجثة، فدهش وأبومحمد يدخل عليه نحيفاً متوسط الطول لا تبدو عليه اية صفة من تلك الصفات الموجودة في الملف الضخم امامه فقال بعفوية سائلاً:

ـ انت أبومحمد؟

ولما اومأ بالايجاب عاد يسأل:

ـ غيرمعقول. وهل انت قادر على القيام بكل هذه الاعمال التي تملأ هذا الملف؟

لم يبتسم أبومحمد ولم يرد، فقد فوجىء بأن يسأله ضابط عربي كبير يحقق معـه كمجـرم في اعمال قام بها ضد العدو الاسـرائيلي. فقـد كان العمل الفدائي الفلسطيني ايامئذ غير مسموح وغير مقبول في عدد من الدول العربية.

قرر أبـومحمـد في ظل الظروف الفوضوية والصعبة التي

يواجهها العمل الفلسطيني وتفوق «الموساد» التكنولوجي ان يتصرف بدهاء وحكمة. فقد كان طبيعياً أن يكتشف عميل ما في احدى المنظمات فيهرب إلى منظمة اخرى ليستقبل فيها استقبال الابطال خصوصاً اذا كان بين المنظمتين شيء من الحساسية.

كان قرار أبومحمد يقضي بتصفية خليل جسدياً في خطة مدروسة لا تثير الشك. فهناك العديد من عملاء «الموساد» في بيروت غير طارق وستصل اخبار قتله إلى «الموساد» في اليوم ذاته.

أستدعى أبومحمد ثلاثة من رجاله المختصين في الرماية بالمسدسات. وعرض عليهم عشرات الصور التي التقطتها المخابرات الفلسطينية لخليل وطارق امام مكتب خليل وامام البناية التي يسكن فيها طارق وفي المطاعم ومحلات «الفليبر» وفي الشارع.

تناول صورة تجمع بين الاثنين وعرضها على الشباب قائلاً:

ـ هل تستطيعون حفظ وجهيهما جيدا؟

فقال رائد وهو يتمعن الصورة:

ـ ولو يا أبومحمد! هذه شغلتنا.

وضع أبومحمد اصبعه على وجه خليل وهو يقول:

ـ هذا. . . هذا هو المطلوب الآخر لا تمسوه، حسين سيخبركم بالتوقيت والطريقة. ابراهيم هو المنفذ وانتما للتغطية والتمويه.

اصطحب الضابط حسين الثلاثة لمراقبة طارق وخليل. وبينما هم جالسون في مقهى «ستراند» اطل خليل ومعه طارق. فقال حسين: «ذاك الذي على اليمين بالزي العسكري». ولم يفاجأ الفريق بأن خليل عسكري في «الصاعقة». ربما فوجئوا في داخلهم ولكنهم تعودوا عدم طرح الاسئلة اذا ما صدرته اليهم الاوامر، انهم من امهر القناصة، وكم تدربوا على اصابة عيدان الكبريت عن بعد واحيانا بأعين معصوبة، فالمسدسات رفيقهم الاكثر اخلاصا الذي يقوم وينام معهم. ايديهم ترتاح حول مقابضها حتى انك تراهم وايديهم خالية من المسدس لكنها تبدو منحية ومضمومة بشكل كانها لا تزال تحتضنه، السؤال الوحيد الذي طرحه ابراهيم على حسين كان يتكون من كلمة واحدة فقط: «متى؟» ورد حسين: «الليلة» فقال رائد: «اذن لم يبق له في الحياة سوى ساعات قليلة».

لحظة الانتقام

في تلك الليلة كان خليل ينتظر زوجته امام مكتبه ومع طارق للذهاب إلى مطعم «نصر» على الروشة لتناول العشاء هناك. وفجأة لمح طارق بعض المسلحين قائلاً:

ـ انظر. انهم يهربون من المحل؟

فقال خليل :

ـ انهم لصوص .

وبسرعة مد يده إلى مسدسه لكن طارق قال له :

ـ دعك منهم .

ولم يكد طارق ينهي كلمته حتى كان احد المسلحين يصوب مسدسه نحو خليل حيث، اطلق في لمح البصر رصاصتين اخترقت الاولى رأسه والثانية رقبته قبل ان يقع على الارض. اندفع بعدها المسلحان داخل سيارة كانت تنتظرهما على مقربة لتطير بهما كالريح .

ذهل طارق من السرعة التي تم بها كل شيء ومن الطريقة التي قتل فيها صاحبه لأن لصا رآه يمد يده إلى مسدسه . خرجت عناصر أمن «الصاعقة» من المكتب على صوت الرصاص ليجدوا خليل مضرجاً بالدم، وبسرعة حملوه في احدى السيارات إلى المستشفى ولكنه فارق الحياة قبل ان يوضع على النقالة. بعد نصف ساعة على الحادث وصل فريق تحقيق من أمن «الصاعقة» استمع إلى اقوال طارق بعد ان حاصرت مجموعة من المسلحين المنطقة على الفور، دون ان يهتدوا إلى شيء لكنهم توصلوا الى ان خليل قتل بالصدفة وذهب ضحية لصوص مسلحين .

وفي اليوم التالي اذيع خبر مقتل ضابط «الصاعقة» في

حادث لصوصية، فطارق نفسه الذي كان شاهد عيان على الحادث الذي وقع امام عينيه ولم يشك لحظة في ان الحادث عرضي وقع بالصدفة لسوء حظ خليل وان المنفذين لصوص محترفون، بينما كان أبومحمد في اليوم التالي يشكر الرفاق الذين نفذوا العملية بدقة متناهية ويوكل تنفيذ المرحلة الثانية من العملية إلى فريق آخر بقيادة الضابط حسين.

كان طارق يتهيأ للنوم في شقته حين قرع جرس الباب. لما فتحه وجد امامه شخصاً طلب اليه بكل تهذيب ان يحرك سيارته المتوقفة امام البناية متراً واحداً ليتسنى له توقيف سيارته هو الآخر. فسيارة طارق كانت تحتل مكان سيارتين فقال للطارق:

ـ لحظة واحدة.

انتظره الرجل على الباب حتى انتعل حذاءه ونزل معه على الدرج وقبل ان يصل إلى بهو العمارة بلحظات قال له حسين ويده في جيبه.

ـ اسمعني جيدا. نريدك ان تذهب معنا بلا ضجيج ولا صراخ والا فستموت هنا على هذه الدرجات.

ذهل طارق وظن ان الرجل يمزح معه لكنه حين نظر وراءه رأى شخصاً آخر يحمل في يده مسدساً. وعند زاوية المدخل رأى رجل آخر يصوب إليه مع مسدسه نظرات نارية، حاول ان يصرخ لكن الصرخة تجمدت في حنجرته التي تحشرجت فأدرك

انه وقع ولا نجاة، والافضل ان يذهب معهم بكل هدوء. امام باب السيارة قال لهم، «هل استطيع تغيير ملابسي؟» ولم يجبه احـد. فقـد دفعـه كريم في المقعـد الخلفي لتنـطلق السيارة بالجميع إلى مقر مكافحة التجسس، وليبدأ التحقيق مع طارق.

طارق في الفخ

استمـر التحقيق مع طارق ثلاثـة ايام كاملة بلياليها تمنى خلالهـا الف مرة لو انـه قتـل مع النقيب خليل. فقد وجد ان المخابرات الفلسطينية تحتفظ له بملف كامل فيه كل شيء عن حياتـه واعمـالـه. وحين ادخلوه على أبومحمد، دخل منكس الـرأس ذليلاً يتمنى في قرارة نفسـه لو ان الارض تنشق تحت قدميه وتبلعه حياً، فقد كان الموت اهون عليه من هذا العري الذليل، هو الذي كان يظن ان الناس تنظر اليه نظرتها الى شاب وطني قومي يعمـل لصالح المقاومة الفلسطينية. خفض عينيه بانكسار مهين حين التقتا بعيني أبومحمد الجالس خلف مكتبه. طال الصمت وهو يتمزق قبل ان يشير اليه أبومحمد بالجلوس. فجلس وأبومحمد يسأله.

ـ الم تفكر يوماً بهذا الموقف؟

ـ لقد اجبروني وابتزني. لست خائناً. . اقسم لك.

قاطعه أبومحمد بحسم:

ـ اخرس. الا تعرف كم قتل من الابرياء بسبب خيانتك؟ وزهير محسن هل نسيته؟

ـ لقد خوفوني.

ـ هل يساوي خوفك كل هذا الدم الذي نزف من اهلنا واهلك في لبنان؟ اليس هذا شعبك الذي تقصفه الطائرات الاسرائيلية بناء على خيانتك وخيانة خليل؟

ـ خليل هو الذي وضع الخرائط.

ـ اخرس، الست انت اساس البلاء يا حيوان؟ صحيح انك ميت الضمير، لكن اذا كان ضميرك وشرفك قد ماتا ولم يبق فيك غير الخوف، فهل تعتقد انك بعيد عنا؟ هل تظن ان يد «الموساد» اطول من يدنا؟ كان باستطاعتنا قتلك مع خليل، ولكننا قررنا ان نبقي على حياتك، بحثا عن ذرة قد تكون بقيت حية من ضميرك الميت.

فكر طارق: «اذن موت خليل لم يكن صدفة، ولا اللصوص كانوا لصوصاً. العملية كلها مدبرة. يا الهي. كان يجب علي ان ادرك ذلك».

نشله صوت أبومحمد من تفكيره وهو يقول له:

ـ لقد قررنا ان نعطيك حق تقرير مصيرك. فلك وحدك يعود القرار في ان تموت شر ميتة أو تحيا.

امسك طارق باخر كلمات أبومحمد بلهفة قائلاً:
ـ انا تحت امرك. اطلب مني ما تشاء.
ـ نريدك ان تواصل العمل مع «الموساد».

ذهل وظن انهم يريدون تصفيته بالجرم المشهود. فقال:
ـ لم افهم قصدك.

فقال أبومحمد بهدوء حازم.
ـ نريدك ان تبقى على اتصالاتك المنتظمة معهم ولكن بتوجيهاتنا نحن. هل تفهم؟
ـ فهمت.

ـ لا اعتقد انني بحاجة لاقناعك بعدم الخيانة. فاياك ان تلعب معنا. لانك عندئذ لن تستطيع الانتحار ولن تعرف غير الالم الدائم. لاننا لا نقتلك برصاصة قيمتها ٢٥ سنتا امريكيا.

فابتسم أبومحمد لاول مرة في الجلسة. هو الذي دأب على مقارعة «الموساد» سنوات طويلة. لكن بالرغم من ذلك فقد احس طارق في ابتسامة أبومحمد شيئاً من الدفء وارتاحت اعصابه قليلاً حين قال له أبومحمد:

ـ لا تخشى شيئاً. فنحن نعرفهم جيداً ونعرف طريقة تفكيرهم وتصرفاتهم وامتحاناتهم التي سنجعلك تنجح فيها بتفوق. والرائد حسين سيكون المسؤول عنك وعن تدريبك واعطائك المعلومات.

بدأت جلسات اعادة التأهيل مع حسين الذي جعله يضع ايام الاعتقـال الثـلاثـة في قاع الذاكرة دون ان ينساها تماما. وافهمه بأن لا يخبرهم عن مقتل خليل بواسطة الجهاز. ان من الضـروري ان يسـافـر إلى اوروبا وان يتصل بهم هناك. لانه سيأخـذونه إلى تل ابيب وافهمه ان لا يخبرهم بأي شيء عن اعتقاله لانهم لا يعلمون أي شيء عنه. فموعد الاتصال بهم غدا وسيكون وقتها في البيت. «وغدا سنزودك بكل المعلومات الضرورية لتقولها لهم عند التقائك بهم في اوروبا».

الفصل التاسع

نهاية الضابط زكي

بعـد اعـادة تأهيله وتـدريبه على كل الاحتمالات أحضر طارق امام «أبومحمد» من جديد، الذي قال له:

ـ ستسـافـر غدا وتتصـل بهم كالعـادة. ستجـدهم هذه المـرة متحفظين تجاهك بعض الشيء. وقد يستجوبونك من جديد. ويسبرون اغوارك بعد مقتل خليل. يريدون ان يتأكدوا من انك ما زلت معهم! قد يعـرضونك على جهاز كشف الكذب، ولا شك ان الاخ حسين قد حفـظك الـدور تمـاما، فقط اعد مع نفسـك القصـة والاجوبة حتى تحفظها عن ظهر قلب. جهاز كشف الكذب يكشف كسر الروتين والنبرة وضغط الدم والانفعال في صوتـك لا اكثـر ولا اقل. لا تتفاجأ امام أي سؤال. وكن طبـيعـياً. حسـين طرح عليك كل الاسئـلة الـتـي يمكنهم ان يسـألـونك عنها، وقد حفظت انت الاسئلة جيدا كما حفظت اجاباتها، وانت، يا طارق، الآن امام الخيار الاكثر اهمية في حياتك. نحن لن نغنيك بالاموال. ولا نعدك بدولارات لا عد لها ولا حصـر. فكل ما نعدك به انك ستكون مرتاح الضمير امام

نفسك واهلك وناسك. لقد عدت إلى نفسك واهلك من نفق الخيانة التي لا يرضى بها الله ولا الانسان. نحن ثقتنا كبيرة في الانسان العربي. وقد اتحنا لك فرصة التكفير عن عملك السيء بخدمة بلدك وجذورك. فلا تفوت الفرصة. فلتكن توبة نصوحة لله والوطن.

سكت «أبومحمد» وهو يتفرس وجه طارق الذي كان يصغي بكل جوارحه، وما ان هدأ صوت «أبومحمد» حتى رفع طارق رأسه ليقول:

ـ لا تخف يا «أبومحمد» والله لو قلعوا عيني فلن افرط في شيء ولن اخون.

ـ صيت «الموساد» اكبر منه انهم يصورونه كاسطورة بالرغم من انه جهاز مخابرات عادي. لكن الذي يفيد «الموساد» ان اليهود في اسرائيل وفي دول العالم الاخرى متماسكون ويعملون يدا واحدة من اجل اسرائيل. بعكسنا نحن الذين نمشي وسط الالغام العربية التي زرعت بيننا بايدينا قبل ان تزرع بايدي غيرنا.

امتدت الجلسة مع «أبومحمد» اكثر من ساعة ادرك خلالها رجل الرصد الفلسطيني ان طارق صادق معه. لكنه كان متخوفاً من عدم نجاحه في امتحان «الموساد»، فقال له: قبل ان يصافحه مودعاً:

ـ اتمنى لك سفراً سعيداً ورحلة موفقة. ولا تنس ان ارادة الانسان اكبر من «الموساد» ومن كل المخابرات العالمية، فكن واثقاً من نفسك ولا تتردد أو تتزلق وستجد الامر اكثر سهولة مما تتصور. الامـر الذي سيجعلك بطلاً لا في عيوننا نحن وحسب بل في عينك انت، ان استطعت ان تتغلب على «الموساد».

كان طارق قد بدأ يسترد ثقته فتحول من انسان ساقط إلى انسان ذي قيمة فتحولت حتى طريقة كلامه وكلماته اذ قال لـ «أبومحمد»:

ـ توكل على الله. وستجدني عند حسن الظن والثقة. وكم اتمنى في هذه اللحظة لو انكم كشفتم امري مبكرا.

ابتسم «أبومحمد» وهو يقول:

ـ لكل اجل كتاب ولكل شيء اوان. وما يدريك ان كشفنا لك الآن خير من كشفنا لك مبكراً أو متأخراً؟ من هنا سنبدأ، وان شاء الله ستكون بداية اخرى. اتمنى لك التوفيق ومع السلامة.

تصافحا وخرج طارق ومعه حسين يرافقه إلى الباب.

في اليوم التـالي سافر طارق إلى ايطاليا، واتصل كالعادة بالسفارة الاسرائيلية وترك خبرا للمشرف عليه (الكونترول)، أي ضابط «الموساد» زكي الذي هرع في اليوم التالي إلى روما. ولما التقيا في السفارة عانقه زكي مهنئا اياه على سلامته ومرحبا:

ـ لقد خفت عليك كثيراً. فقد كنت دائماً مع خليل ـ الله يرحمه. لقد كشفوه.

فوجىء طارق بأنهم يعرفون بمقتل خليل اولاً، رغم ان خبر موته اذيع. كما فوجىء بكلمة «كشفوه» يتفوه بها زكي. تماما كما اخبره حسين من قبل. فقال لزكي بدهشة وتساؤل:

ـ كشفوه؟! من الذي كشفه؟

فقال زكي وهو يبتسم:

ـ ولو! سلامة فهمك يا طارق. الفلسطينيون طبعاً.

بدأ طارق عصبياً تناول سيجارة واشعلها بحدة. كل شيء يتم حسبما اخبره حسين. نفث دخان سيجارته بتلعثم ثم قال:

ـ غريب! لقد رأيت الحادثة بعيني. لقد قتله اللصوص. على اية حال، اسمع يا زكي، انا خائف ولا اريد ان استمر. ارجو ان تبحث عن طريقة تخلصني بها من الجهاز. فاليوم خليل وغدا انا.

كان يراقب وجه زكي وهو يتحدث بعصبية، وشعر انه سجل نقطة كبيرة لصالحه، فقد لمح علامات التخوف على وجه زكي الذي قال مهدئاً:

ـ لا تخف، نحن معك، اروي قصة مقتل خليل بالتفصيل. فرواها له بكل حذافيرها وكما اعادها وراجعها مع حسين عشرات المرات. وفي نهاية اللقاء ربت زكي على كتف طارق قائلاً:

ـ ولا يهمك. احزم حقيبتك وحضر نفسك فسنسافر الليلة إلى تل ابيب.

اطفأ طارق سيجارته وصافح زكي على ان يلتقيا مساء في المطار.

وفي الطريق إلى الفندق، كاد طارق يطير من الفرح. فقد حصل على كل شيء تماما كما اخبره حسين. حتى ان شكاً خامره بأن حسين رتب كل شيء مع زكي. لكنه قرر ان يلعب الورقة الفلسطينية إلى النهاية مهما كانت النتائج. فقد اخبره حسين اثناء الجلسات بأنه يضطر للتفكير كاسرائيلي في كثير من الحالات وكضابط «موساد» بالتحديد. فهو يعرف اساليبهم جيداً كما انه يبحث كل الاحتمالات ويستكشف كل «السيناريوهات»، ويضع كل الاسئلة التي تخطر وقد لا تخطر على البال مع اهتمام بالغ بالتفاصيل والتوافه الصغيرة. اذ كثيراً ما تكون هذه التوافه هي المقتل. فبعد ان طاف معه حسين كل الاجواء والافاق قال له ان هذا هو «السيناريو» المحتمل للقائك مع ضابط «الموساد». وفعلاً، حتى خروجه من السفارة الاسرائيلية، لم يتفوه زكي بكلمة واحدة لم يقلها حسين. ضخ فيه هذا الشعور بمقدرة حسين وضباط المخابرات الفلسطينية ثقة هائلة، قرر ان يتفوق على زكي الذي اذله واهانه، بل على كل «الموساد». سيمرغ انوفهم في التراب، وليحضروا كل

اجهزة الكذب والتكنولوجيا الحديثة، فسوف لن يصلوا معه الى اية نتيجة، بل ان نهاية زكي في «الموساد» ستكون على يديه هو، منتقماً لشرفه الذي داس عليه هذا الصهيوني اللعين.

لمعت عينا طارق بالشرر، فحث الخطى إلى الفندق. حزم حقائبه وطلب بعض الشراب في غرفته ثم نزل إلى صالة الاستقبال حيث دفع الحساب وغادر الفندق إلى المطار بعد ان وضع اعصابه ومشاعره في ثلاجة رغم شعوره الطافح بأن رحلته هذه إلى اسرائيل مختلفة عن رحلتيه السابقتين. انها رحلة المصير التي ستقرر خياره الابدي: فاما ان يموت ويقتلوه واما ان يكون بطلاً قومياً.

امتحان صعب

في مطار تل ابيب. كانت السيارة الخاصة في انتظارهما عند سلم الطائرة. دلفا اليها فانطلقت بهما إلى شمال تل ابيب لتتوقف امام احدى البنايات النظيفة. ثم نزلا في شقة البناية مكونة من غرفة نوم واحدة وغرفة استقبال ينتشر في جوانبها ذوق انثوي وملابس انثوية وادوات ماكياج. تركه زكي ينام في غرفة النوم بعد العشاء، في حين نام ضابط «الموساد» في غرفة الاستقبال.

في الصباح. جاء شاب يحمل حقيبة ضخمة فقال زكي

لطارق: نحن كضباط، نخضع كل عام لامتحان روتيني. وبما انك اصبحت واحد منا وان ما يجري لنا سيجري لك. هذه الآلة التي تراها امامك تسمى «جهاز الكذب».

ولا شك انك سمعت بهذا الاسم من قبل. نحن على اية حال، لكثرة ما عرضنا على هذا الجهاز، صرنا نسميه «جهاز الصدق».

كان طارق يومىء لزكي وعلى وجهه علامات الدهشة. فابتسم الخبير وهو يتقدم من طارق ليربط الاسلاك بيديه ورجليه وصدره. ثم بدأ زكي يوجه اليه الاسئلة:

ـ ما اسمك؟

فرد طارق:

طارق.....

ـ اسمك طارق عيتاني. اليس كذلك؟

ورد طارق:

ـ اسمي طارق الحمدان.

ـ كم عمرك؟

٢٧ سنه.

قل لي يا طارق: كيف قتل ضابط «الصاعقة» خليل؟

وروى طارق القصة كما سبق له ورواها لزكي في روما.

وعاد زكي يسأل:

ـ بعد عودتك من المستشفى، هل تحدثت عن علاقتك بنا؟

وأجاب طارق:

لا.

ـ هل اخفيت عنا اية معلومات عن مقتل خليل؟

لا.

ـ بعد الجنازة، هل تحدثت عن علاقتنا؟

لا.

ـ من تذكر من الذين حضروا الجنازة؟

فذكر له طارق كل الاسماء التي عرفها.

في اليوم التالي، عرض طارق مرة اخرى على الجهاز وقال له زكي: «هذه المرة نريدك ان تكذب على الجهاز».

اذاً تريدني ان اكذب؟

ـ لا تخف. انه روتين. خذ هذه الورقة واكتب عليها الارقام من واحد إلى عشرة. تناول طارق الورقة وكتب عليها كما طلب منه، فقال له زكي بعد ان تم ربط الاسلاك:

اقرأ هذه الارقام بصوت عال.

لما قرأها قال له زكي:

ـ والآن، اقرأها. لكن حين تصل إلى رقم ٥ قل تسعة بدلاً من خمسة، واكمل ففعل.

هناك قال زكي لطارق: «انظر». فوجد ان ابرة الجهاز قد

تركت خطاً طويلاً في الرسم البياني على الورقة بعد ان نطق برقم تسعة بدلاً من خمسة. فابتسم وهو يقول:
ـ علم.

وتكررت العملية مرة اخرى في اليوم الثالث وطارق يروي قصة مقتل خليل في كل مرة كما رواها اول مرة.

كان طارق يشعر بخوف حقيقي من «الموساد» لكن زياراته السابقة وتعامله معهم.. وكلام «أبومحمد» وصحوة ضميره وحقده على زكي و«الموساد» في قصة الصور، والابتزاز والتهديد، واهم من ذلك مقتل خليل امام عينيه ـ كما اراد «أبومحمد» ـ جعلته يقرر بلا تردد الانحياز إلى الخندق الفلسطيني متغلباً على كل خوف من «الموساد».

بعد انتهاء الكشف في اليوم الثالث حمل الخبير جهازه والرسوم البيانية وهو يقول لطارق مودعاً:
ـ اهلا بك في تل ابيب. وان شا الله سنراك كثيراً في المستقبل.
فقال طارق:
مرة واحدة في العام.

وابتسم وهو يلتفت إلى زكي الذي قال له الخبير:
ـ بأمكانك ان تأخذ المعلومات من الكومبيوتر.

فاومأ اليه زكي برأسه ونهض وهو يقول لطارق:

ـ هيا بنا. سأدعوك إلى الغداء في احد مطاعم تل ابيب الجميلة.

في المطعم، جلس زكي وطارق على مائدة منعزلة. وما هي الا دقائق حتى جاء رجل خمسيني شاركهما الجلسة فقدمه زكي إلى طارق بقوله:

ـ هذا داني يا طارق. انه رئيسي في العمل.

صافحه طارق بأدب واحترام قائلاً:

ـ اهلا وسهلا. تشرفنا.

ومضى الحديث حول الطعام وتشابهه مع الطعام اللبناني. ثم فجأة قال داني موجهاً حديثه إلى طارق:

ـ قل هل سمعت باللواء (كذا)؟

ـ لا. لم اسمع به.

ـ انه ضابط (في جيش دولة عربية) كبير.

ـ . . .

ـ لقد احاله رئيس الدولة على التقاعد، وهو الآن في حالة مالية حرجة بعد ان كان يصول ويجول. كما انه حاقد على الحكم وعلى الرئيس. ونحن نريد هذا اللواء ليعمل معنا. وعليك ان تتصل به.

كيف؟

ـ سيخبرك زكي بالتفاصيل.

قال داني ذلك ثم نهض وصافح الاثنين وخرج.

بعد انصراف داني قال زكي لطارق:

ـ كيف وجدت رئيسي؟

ضابط.

ـ انك لا تعرفه. سوف احدثك عنه في المستقبل. انه قبضاي ويعرف الجنوب اللبناني شبرا شبرا.

مهمة جديدة

في صباح اليوم التالي طلب زكي من طارق، بعد ان زودة بتذاكر السفر و ١٠٠٠ دولار، ان يبقي علاقاته الوثيقة مع التنظيمات الفلسطينية، وان ينقل إلى الجهاز كل المعلومات التي تتوفر لديه. بشأن اللواء المتقاعد، طلب منه ان يقوم بزيارته في بيته في العاصمة العربية، ويعرض عليه العمل في تجارة الاقمشة والبدلات، وان يصطحبه في ما بعد إلى اوروبا بأية وسيلة مقنعة.

كانت حقائب طارق جاهزة، فأوصله زكي وسامي إلى المطار في طريقه إلى بيروت. لكن طارق لم يشعر بالراحة الكاملة الا بعد ان هبط في مطار بيروت وتوجه على الفور إلى مكتب الضابط حسين حيث بادره بالقول:

ـ كدت اشك فيك.

فابتسم حسين وهو يقول:

ـ خير!

ـ خير. فقد حصل كل شيء كما قلت لي بالحرف الواحد. واخذوني إلى تل ابيب وعرضوني على جهاز كشف الكذب وطرحوا علي الاسئلة كلها التي سألناها معاً واجبنا عليها معاً عشرات المرات.

تعددت لقاءات حسين بطارق، وفي كل مرة كان حسين يقود إلى الحديث عن زكي ولقائه مع طارق في روما وتل ابيب، فيما طارق يروي له القصة بكل تفاصيلها مرة بعد مرة منذ وصل زكي إلى روما.

كانت المخابرات الفلسطينية قد اوفدت بعض عناصرها إلى روما خفية عن طارق، حيث التقطت صورا لزكي واقتفت اثار طارق في العاصمة الايطالية منذ لحظة وصوله إلى حين مغادرته إلى تل ابيب، كذلك قامت فرقة المكافحة بتسجيل كل ما نطق به طارق بعد عودته إلى حسين. وكان حسين يراجع التسجيلات ويحللها كلمة كلمة.

وفي لقائه مع «أبومحمد» قال حسين:

ـ انني مطمئن إلى ان طارق صادق معنا، وانه مستعد للعمل والتضحية. لكن يبقى مأزق «اللواء العربي». ماذا نفعل به؟

فقال «أبومحمد»:

ـ مستحيل ان نقوم بتجنيده لصالح «الموساد» واذا نحن افهمناه بالحقيقـة فهـو قد يخـاف على مستـويين: مستوى تعامله مع العـدو، ومستوى تعامله معنا في حال انكشافه لدى مخابرات بلده. كذلـك فنحن أيضاً بغنى عن افتعال مشاكل مع دولته، الافضل البحث عن طريقة نتفادى بها هذا العمل.

ـ معك حق. ولكن كيف؟

ـ ليسافر طارق إلى العاصمة العربية، وليتم تعريفه ببيت اللواء المـذكـور عن بعـد. ومن الضـروري ان يعرف شكل الرجل وصورته، ثم نتصرف.

وفعلاً، سافر طارق إلى العاصمة العربية المعنية، وشاهد بيت اللواء كما رآه عن قرب في احد المقاهي. وبعد عودته إلى بيروت عرضت عليه ايضا صورة اللواء قبل ان يقوم بارسال البرقية التالية: «سافرت إلى العاصمة العربية، وقابلت اللواء عن طريق احد معارفه. الرجل صعب. فاتحته بامكانية الاشتراك معي في التجـارة فسـألني لماذا اخترته هو، ولماذا اعرض عليه العمل وكيف سيشـاركني بدون راسمـال. لقـد خفت منـه وهو ليس مأمونا. انني خائف جدا واشعر انني مراقب».

وجاءه الرد: «لا تخف. لا يوجد خطر عليك. انس مسألة اللواء في الوقت الحاضر وركز على عملك المعتاد مع التنظيمات».

بدأت مرحلة جديدة من التجسس والتجسس المضـــاد، اديرت بحنكـــة وذكـــاء من الجـانب الفلسـطيني حيث كانت المخابرات الفلسطينية هي التي تقوم بالرد على اسئلة «الموساد» والـطلبـات التي يتلقـاهـا طارق منهـم. وكـان في اجـابـات الـمخـابـرات الفلســطينية الكثير من الحقـائق والكثير من الاكاذيب. لكن الحقائق كانت من النوع غير المؤثر أو من النوع المتغير بحيث يصار إلى تغييرها فور ارسالها على الجهاز.

كان اكثـر ما يهم المخـابرات الفلسطينية ان تتعرف على حاجات «الموساد» وان تلغم هذه الحاجات بالمعلومات التي تريدها هي لتدفع «الموساد» في طريق البناء المتهافت على غير اسـاس، كما كانت تتعرف على نوايا العدو واهدافه من خلال اسئلته وطلباته. ومن الطبيعي ان تكون للمخابرات الفلسطينية مواردهـا ومصادرها وقنواتها الاخرى في جمع المعلومات التي تهمها، وفي ارسال المعلومات التي تريد ايصالها الى اسرائيل مع الحرص على ان تؤكد كل القنوات الاسرائيلية المعلومات التي ترسلها المخابرات الفلسطينية اليها.

ولدى سؤال «أبومحمد» عن مصير ضابط «الموساد» زكي قال:

لقد وجدته شرطة العاصمة البريطانية مقتولاً في شقته في لندن.

ـ كيف وجدته وكيف قتل؟

ـ تلك قصة اخرى.

ـ وطارق؟

- (....).



ملاحظة

ارتأينا التوقف بالقصة عند هذا الحد لأن معظم ابطالها ما زالـوا احياء، وبعض فصـولها لم توضع لها النهاية، رغم انها جرت في الفترة السابقة على الغزو الاسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ وخلاله، اذ تكبدت اسرائيل في هذا الغزو من الخسائر المعنوية والمادية، في الداخل والخارج، وفي سمعة جيشها الذي كانت تصوره اجهزة الاعلام العالمية بأنه لا يقهر، اكثر من خسائرها البشرية بكثير. وقد كان دور المخابرات الفلسطينية ملحوظاً في الاداء البارز للمقاومة لكن السيطرة الكلية للطيران الاسرائيلي على اجواء لبنان حسمت المعركة في النهاية لصالح اسرائيل.

الفهرس

صدر حديثا من سلسلة

الحروب السرية الفلسطينية الإسرائيلية

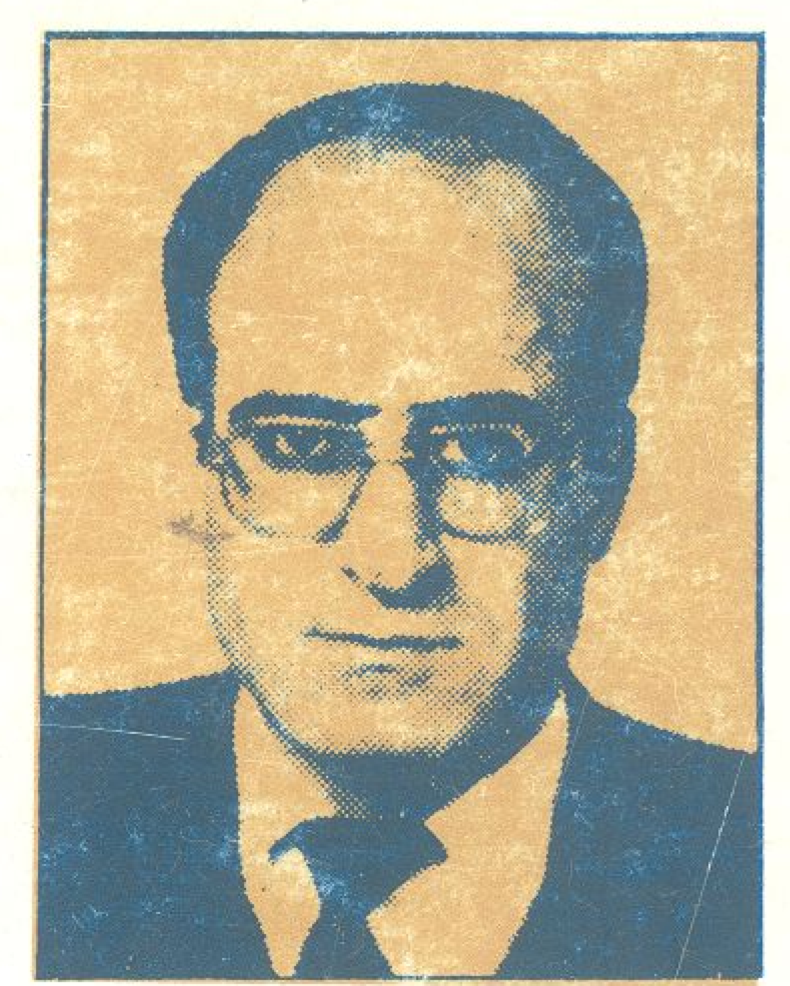
عبدالله عيسى

فدائي في المخابرات الإسرائيلية

قصة واقعية من ملفات المخابرات الفلسطينية، تعطي صورة عن اختراق المخابرات الفلسطينية للموساد. وافشال محاولة اسرائيلية لاغتيال القادة الثلاثة أبو عمار، ابو جهاد وابو اياد في تونس عام ١٩٨٦ على غرار عملية فردان، كما افشلت محاولة اسرائيلية لقصف معسكر «تبسة» في الجزائر، كما تروي فصول المطاردة السرية لـ«ابو العباس» الامين العام لجبهة التحرير الفلسطينية.

هذه القصة (فدائي في المخابرات الاسرائيلية) التي تقدم للمرة الاولى عن الصراع الذي يدور بين اجهزة الامن الفلسطينية والاستخبارات الاسرائيلية ضمن حرب شرسة لا يظهر منها على السطح الا القليل جداً.

وقد تمكن الزميل الاستاذ عبدالله عيسى من الوصول الى ملفات هذا الصراع وكتب رواية مهمة مدعمة ببعض اسماء القيادات، وبالمواقع ووصفها في اطارها الحدثي الذي عرفنا جزءاً منه مثل حادثة قصف مقر المنظمة في تونس.



عبدالله عيسى

الجاسوس المدلل

قصة واقعية، من ملفات المخابرات الفلسطينية، تعطي صورة حقيقية عن الدور الاسرائيلي في العديد من الاحداث المعروفة والتي في كثير من الأحيان حاول الاعلام الاسرائيلي الصاق التهم الباطلة بمنظمة التحرير الفلسطينية

تروي القصة تفاصيل مثيرة حول اغتيال زهير محسن الامين العام لمنظمة الصاعقة في فرنسا، كذلك إفشال الموساد لمحاولة لاغتيال السادات.

هذه الحلقة من حلقات المواجهة بين منظمة التحرير الفلسطينية واسرائيل انقلبت عكسياً لصالح المخابرات الفلسطينية التي اخترقت الموساد وقامت بتضليله لفترة طويلة.

وهي تسجل وقائع الحرب السرية بين المخابرات الفلسطينية والموساد منذ منتصف السبعينات وحتى الغزو الاسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢.

الغلاف: زهير أبو شايب

المؤسسة العربية للدراسات والنشر
بناية برج الكارلتون - ساقية الجنزير -
ت ٨٠٧٩٠٠/١ برقياً «موكيالي»
بيروت - ص.ب: ١١/٥٤٦٠ بيروت
تلكس: LE/DIRKAY - ٤٠٠٦٧